# قصيدة مدح بني أمية
# في الأندلس حتى سقوط الخلافة


إعداد

رانية عبد الكريم محمود السفاريني

المشرف

الأستاذ الدكتور مصطفى عليان


قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في

الأدب والنقد

بعمادة البحث العلمي والدراسات العليا


الجامعة الهاشمية

أيار ٢٠٠٣م

نوقشت هذه الرسالة واجيزت بتاريخ : ....٢٤-٥-٢٠١٣م...

| أعضاء لجنة المناقشة | التوقيع |
| --- | --- |
| **الدكتور مصطفي عليان ،رئيسا**<br>أستاذ الأدب والنقد | ..... |
| **الدكتور محمود أبو الخير، عضوا**<br>أستاذ مشارك في الأدب والنقد | ..... |
| **الدكتور حمدي منصور ، عضوا**<br>أستاذ مشارك في الأدب والنقد | ..... |

المصادر والمراجع . ١٤٩
الملحق ببقية الشعراء ١٥٧
الملخص باللغة الإنجليزية ١٥٩

# ملخص


قصيدة مدح بني أمية

في الأندلس حتى سقوط الخلافة

اعداد

رانية عبد الكريم محمود السفاريني

المشرف

الأستاذ الدكتور مصطفى عليان

تناولت هذه الدراسة موضوع قصيدة مديح بني أمية في الأندلس حتى سقوط الخلافة ، مصورة جوانب الحياة السياسية وقيمتها في المجتمع ، وتجسد حلقة من حلقات الصراع السياسي الأندلسي على الصعيد الداخلي والصعيد الخارجي . هذا بالإضافة إلى أنها اشتملت على بعض الأفكار الشيعية التي رددّها الشعراء في مدائحهم لبني أمية .

وعلى الرغم من اضطراب الحياة السياسية في الأندلس خلال هذه الحقبة ، فقد شهدت الحياة الأدبية بها نهضة واسعة شارك فيها الأمراء والخلفاء ، الذين كان أكثرهم من الأدباء والشعراء ، وكانت بلاطاتهم منتديات للتنافس في انشاد الشعر ، فلقد أتت الحياة الأندلسية ثمار غرسها في عهد الخلافة زمن الخليفة الناصر لدين الله ، واستطاعت الأندلس أن تظفر بطائفة من كبار الشعراء من أمثال ابن شهيد ، ابن شخيص ، ابن عبد ربه ، ولقد صدر هؤلاء الشعراء في شعرهم عن مزاج عربي جديد ، استقرت ملامحه في هذه البيئة الجديدة ، مما كان له أثره البالغ في توجيه فعل الابداع الشعري لديهم .

ومـــن هـــــذه الدراســـة تبينا التشابة بين قصيدة المديح الأندلسية وقصيدة المديـــح المشـــرقيـــة مـــن حيث المحافظة على البناء ، وتباينها في المضمون . ووجـــدت تـــنـــوعاً في مقدمـــات المدائـــح الأندلسيـــة ، وطـــرائق الشعراء في الـــربط والـــتخـــلص ، وتوصلت إلى توسل الشعراء في تشكيل لغـــة مدائحهم بالقرآن الكريم ، وبمفـــردات البيئة والتراث ، واعتماد الصورة الفنية على التشبيه والاستعارة .

# المقدمة :

حرص بنو أمية في إقامة دولتهم بالأندلس على ركنين أساسيين ، أولهما تثبيت أركان الدولة سياسياً بالوقوف أمام ما يهددها من تقلبات وفتن سياسية داخلياً وخارجياً ، وثانيهما : بناء حضارة عربية إسلامية ، تستقي من عالم الآباء والأجداد أصولاً وجذوراً ، وتأخذ من البيئة الجديدة فروعاً وغصوناً .

والأدب صورة هذه الحضارة ، إن لم يكن جزءاً أساساً في كيانها إذا تتراءى على صفحته ظواهر الواقع ، وملامح الحلم ، أو هو وثيقة فيها حقائق الفكر ورؤى الخيال .

والمدح آلية الثناء على البناء والعمل ، لذلك واكب هذا الغرض حركة الإنسان منذ بواكير التاريخ ، فكانت الذات فخراً والصوت الآخر مدحاً . وفي الأندلس حمل مدح بني مروان ( الأمويين ) ما كان يجري فيها من ظواهر حضارية حسية وفكرية .

وأغلب الظن أنّ هذه الدراسة جديدة في مجال المدح الأندلسي ، يرجع ذلك إلى أنني قمت بجولة علمية في الجامعة الأردنية ، وارجعت فيها الرسائل المسجلة في قسم الدراسات العليا ، فوجدت أن موضوع قصيدة مدح بني أمية في الأندلس حتى سقوط الخلافة ، قد حادت عنه أقلام الدارسين ، إلا أن دراسة قامت بها الطالبة فيروز الموسى في جامعة حلب بعنوان " قصيدة المديح الأندلسية بين التجديد والتقليد" وكانت هذه الدراسة تقوم على دراسة عامة وشاملة لغرض المديح في الأندلس في مختلف العصور ، ومثل هذه الدراسات العامة إنما تكون معنية بالسرد والتقاط محطات جزئية دون ريث أو توقف

بالتحليل والتركيز ، ويمكن أن تتصور ذلك خاطراً سريعاً بالالتفات إلى ثمانية قرون تقلبت فيها على حكم الأندلس أسر عديدة ، وحظيت مدن كثيرة بقاعدة ارتكاز الدول المنتشرة في زمن ملوك الطوائف وبعده ، وهناك دراسة مخصصة لقصيدة المديح في الأندلس في عصر الطوائف لأشرف محمود نجا وهذه الدراسة لا تمس دراستنا بأية صلة لأنها فترة لاحقة للدراسة .

ومن هنا فإن مدح بني مروان في الأندلس حتى سقوط الخلافة يحمل ترسيخاً وتركيزاً لصورة المدح الأولى في الأندلس خاصة في زمن بناء الدولة واستقرارها ، وتثبيت أركان حضارتها قبل تشظي جوانبها بالانقسام والسقوط.

وتقوم منهجية البحث على جمع قصائد المدح من مصادرها المختلفة – وأهمها كتاب المقتبس ابن حيان القرطبي بأجزائه الخمسه – الأدبية والتاريخية ثم تصنيفها تبعاً لأغراض المديح السياسي ( الحربي والمذهبي ) والمديح الاجتماعي ( التكسبي والاعتذاري ) وتأتي بعد ذلك دراسة قصيدة المديح فنياً من حيث بناء القصيدة ومعجم المدح وإيقاعية الشعر والصورة الشعرية .

وتعتمد هذه الدراسة منهج التحليل ( القراءة ، والتفكيك ، والاستنباط ) أسلوباً في البحث ، وسنَعمل على الإفادة من مناهج الدراسة الأدبية المختلفة النفسية والاجتماعية والأسلوبية .

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها إلى مقدمة تعرض لأسباب اختيار الموضوع ثم خطة البحث يليها التمهيد الذي يستهمل بتواطئه سياسية وفكرية ومادية ، يليها فصلان يشكلان العناصر الموضوعية والفنية لقصيدة المديح الأموية وتتوالى على النحو الآتي :

**الفصل الأول :** ويضم أغراض المديح السياسي ( الحربي والمذهبي ) والمديح الاجتماعي ( التكسبي والاعتذاري ) . وقد تناولت كل غرض على حده وبيّنت أبعاده ودلالته النفسية وعلاقته بالبيئة وظروفها ، ومظاهر الصراع فيها .

**الفصل الثاني :** ويختص بدراسة قصيدة المديح فنياً بدءاً ببناء القصيدة الذي يشمل المقدمة والتخلص ومن ثم الخاتمة ، وقد عرضت لأنماط كل منها ، وأشرت إلى أوجه التشابه والاختلاف مع القصيدة المشرقية ، ثم عرضت لدراسة المعجم الشعري وما ينطوي تحته من قضايا، ومن ثم دراسة إيقاعية الشعر الخارجية والداخلية ومعالجة كل ظاهرة إيقاعية تنطوي تحتها ، ثم كانت دراسة الصورة الفنية في قصيدة المديح أخيراً .

ثم ختمت البحث باستعراض أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة ، وذيلته بثبت يشمل أهم المصادر والمراجع .

ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بجزيل الشكر ، وعميق الامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور مصطفى عليان الذي كان له فضل تنبيهي إلى أهمية دراسة هذا الموضوع ، والذي أشرف عليه وتابعه بالرعاية والتوجيه منذ أن كان فكرة حتى اكتملت صفحاته على هذا النحو الراهن ، فله أدين بالفضل العظيم ، وأدعو الله أن يحفظه ، ويبارك فيه وينفع به وبعلمه البحث والباحثين .

كما يسعدني أن أسجل هنا خالص ودي وتقديري لأستاذيَّ الفاضلين :

**الدكتور محمود أبو الخير الأستاذ المشارك بالجامعة الهاشمية .**

**الدكتور حمدي منصور الأستاذ المشارك بالجامعة الأردنية .**

اللـذيـن تفضـلا مشـكوريـن بمنـاقشـة هـذا البحـث وتقويمه بابداء الملاحظـات العلمـيـة السّـديـدة ، والآراء القـيمة الرشـيدة التـي عمقـت الرؤية ، وأثرت الدراسة بمشيئة الله .

وبعـد ، فإنـي لأرجـو أن تجـد هـذه الـدراسـة مكانهـا في مجـال البحـث الأدبـي والـنقـدي ، والله أسـأل التـوفـيق والتسديد في القـول والعمـل ، علـيـه تـوكلـت ، وإلـيه أنيـب ، إنـة نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين .

## التمهيد

# بناء دولة بني أمية في الأندلس

أولاً – سياسياً .

ثانياً – فكرياً .

ثالثاً – مادياً .

## أولاً : سياسياً :

### تأسيس الدولة الأموية في الأندلس :

كان عبد الرحمن بن معاوية(١٣٨ – ١٧٢هـ) من القلة الأموية التي نجت من سيوف أبى جعفر المنصور ، واستطاع عبدالرحمن أن يدخل الأندلس ، ويكون أول سياسي أموي يُحيي الدولة الأموية فيها ، بعيداً عن مقر الخلافة العباسية في بغداد ، وكان دخوله هذا إيذاناً بانتهاء عهد الولاة وبداية دولة جديدة ، واكتفى فيها بلقب الأمير .

وقد لقي عبد الرحمن الداخل صعابا جمة أثناء حكمه الأندلس ، الذي دام أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ، قضى معظمها في إخماد الفتن والاضطرابات " وقد تمكن عبد الرحمن من التغلب عليهم بفضل حزمه وصرامته ، كما يرجع الفضل أيضا في تثبيت ملكه وتوطيد سلطانه في الأندلس إلى الوزراء والحجاب والقواد ،الذين أحسن اختيارهم من مواليه"[١] ولم يمنعه ذلك من الالتفات إلى إصلاح شؤون البلاد السياسية ، إذ عمد إلى تنظيم الإدارة ، فارتفعت بذلك إمارته ، إلى مصاف الدول المستقلة .

وخلف عبد الرحمن الداخل ابنه هشام ، وتلقب بالرضي (١٧٢-١٨٠هـ) ومن أعماله المهمة هزيمة لبرمود الأول سنة(١٧٦هـ ) ملك جيليقية حين هاجم الأندلس ، وفي أيامه انتشر المذهب المالكي في الأندلس على يد فقيه الأندلس يحيى بن يحيى الليثي [٢]. ثم تولى الحكم بن هشام(١٨٠هـ – ٢٠٦هـ) المعروف بالربضي ، " وهو الذي أوقع باهل الربض ، فنسب إليه ، وأمر بهدمه وتعطيله " [٣] وحين جاء عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ –٢٣٨هـ) " استكمل

---

(١) احمد مختار العبادي – في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٠٣.

(٢) ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى – المغرب في حلى المغرب ، ج١ ، ص ٢٩ .

(٣) ابن الأبار – الحلة السيراء ، ج١، ص ٤٤ .

فخامة الملك بالأندلس ، وكسا الخلافة أبهة الجلالة ، وظهر في أيامه الوزراء والقواد وأهل الكور" [١] وفي زمن الأمير محمد (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ) ، ظهرت حركة عمر بن حفصون ، وقد شغلت هذه الحركة الدولة الأموية التي كان وراءها البابوية ودولة الفرنجة .

ولم يطل عهد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥ هـ) عن سنتين ، ليجيء بعده الأمير عبد الله (٢٧٥ – ٣٠٠ هـ) وفي أيامه اضطرمت نار الفتنة بالأندلس ، فتغصّ عليه ملكه " [٢] .

وقد حال ذلك دون مزيد من الإصلاح ، فقد كان شغله الشاغل هو مواجهة حالات التمرد ، مما أنهك الدولة .

وحين اعتلى عبد الرحمن الثالث (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ) كرسي الحكم ، مع مطلع القرن الرابع الهجري اتجه في السنوات الأولى من حكمه إلى القضاء على الفتن والثورات ، ثم اتجه بعد ذلك إلى الإصلاح والبناء والتعمير ، وجهاد العدو الخارجي المتربص بالمسلمين .

---

[١] ابن الأبار – الحلة السّيراء ، ج ١، ص ١١٣ ،١١٤ .

[٢] ابن الأبار – الحلة السّيراء ، ج ١ ، ص ١١٣ ، ١١٤

## إعلان الخلافة :

حين تولى عبد الرحمن الناصر عرش الأندلس ، كانت الثورات والفتن متفاقمة ، والبلاد تعاني من الإرهاق السياسي والاقتصادي ، ولكن شخصيته القوية جعلته يواجه كل تلك الصعوبات بحزم وشجاعة ، فقضى على معظمها ثم اتجه إلى دعم الكيان الأموي ، ونشر الأمن في البلاد .

ولعل أهم ما كان يراود الأمويين في الأندلس ، هو استرجاع الخلافة الأموية التي سقطت في المشرق ، وهو أمل لم يتحقق من قبل ، نظراً لقوة الخلافة العباسية في المشرق ، التي كانت تعتبر هي الخلافة الشرعية في نظر المسلمين ، غير أنّه " ضعف سلطان العباسية بالمشرق ، وغلبت عليهم الأتراك ، وادّعت الشيعة ما شاءت بإفريقية ، وساعدتهم عليه قبائل البربر ، وأصبح الناس في الآفاق فوضى " (١).

وقد أتاح ذلك للناصر الجهر بالخلافة الأموية هذا على الصعيد الخارجي ، أما على الصعيد الداخلي ، فقد كان عبد الرحمن الناصر يرغب في رفع منزلته السياسية والدينية ، أمام رعيته ، بعد أن أطاح بالمعارضة .

" فهذه العوامل كلها اجتمعت لتشجعه ، على الخروج عن الأصل النّظري السّني للخلافة والقائل بأن الخلافة لا تتجزأ ، ولكنّ عبد الرحمن وضعها موضع الاجتهاد ، وأجاز الفقهاء السّنيون بتعددها ، ما دام هناك مصلحة عامة للمسلمين ، واعترفوا بشرعية وجود إمامين يتوليان

---

(١) ابن الأبار – الحلة السّيراء ، ج ١ ، ص ١٩٨.

حكم المسلمين ، في وقت واحد على شرط أن تكون بينهما مسافة كبيرة ، حتى لا يحدث التصادم بينهما " [١] .

ويحمل الخطاب الذي أعلن فيه عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة مبررات ذلك : " بسم الله الرحمن الرحيم " أمّا بعد ،فإن أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه ، للذي فضلنا الله به ، وأظهر أثرنا فيه ، ودفع سلطاننا اليه ، ويسَّر على أيدينا ادراكه ، وَعُدَّت تلك دَرَكه ، وسَهّل بدولتنا مرامه ، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا ، وأعلى في البلاد من أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم إلينا واستبشارهم بما أظلهم من دولتنا إن شاء الله ، فالحمد لله ولي الإنعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه . وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها علينا كذلك ، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ، متسمٍّ بما لا يستحقه منه ، وعلمنا أنَّ التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه ، واسم ثابتٌ أسقطناه ، فمُر الخطيب بموضعك أن يقول به ، وأجر مخاطبتك لنا عليه إن شاء الله ، والله المستعان . كتب يوم الخميس لليلتين خلتامن ذي الحجة سنة ٣١٦ هـ " [٢].

نلاحظ من هذا الخطاب ، أن الناصر أعلن نفسه خليفة للمسلمين بعد ما استتب له الأمر في الأندلس وانتهى من إخماد الفتن ، وتلقب بأمير المؤمنين وعدّ أي ملقب لهذا اللقب منتحلاً ودخيلاً عليه ، وليس جديراً به ، وأن جميع أعمال الجزيرة الأندلسية دانت له بالطاعة ، حيث أرسل الكتب إلى كافة أقاليم الدولة ، وأمرهم بالدعاء له على المنابر بلقب أمير المؤمنين ، ووجوب طاعته ، وما من كتاب يخرج أو يدخل إلاّ ويجب مروره عليه والختم بأمير المؤمنين ، وعهد إلى صاحب الصلاة

---

[١] عبد العزيز فيلالي – العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، ص ١٣٨ ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، ١٩٧٠م.

[٢] ابن عذارى المراكشي – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ١٩٨ .

والخطبة – القاضي أحمد بن مخلد بن يزيد – بالدعاء له في خطبة الجمعة في المسجد الجامع بقرطبة في مستهل ذي الحجة سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨ م .

أما عن نظام الخلافة في الأندلس ، " فإنة يقوم على أساس التوريث ، ويستند إلى السياسة أولاً ، ثم الدين ثانياً ، وهو نظام يختلف عن النظام الذي اتبعه الخلفاء الراشدون ، إذا كانت خلافة هؤلاء تقوم على الشورى والانتخاب وإذا ما قورن بين نظام الخلافة الأموية في الأندلس ، وبين خلافة الفواطم في المغرب والعباسيين في المشرق ، فإنه يتبين لنا ، أنّ الأمويين أكثر ديموقراطية من الخلافة العباسية والفاطمية ، فالأولى كانت تقوم على نظرية التفويض الالهي ، وهذه النظرية مستمدة أصولها من النظرية الكسروية الفارسية في الحكم ، وقد ساد هذا النظام ايضا عند ملوك أوروبا الحديثة " [١] .

" والخليفة الفاطمي ، كان يعتبر نفسه إماماً معصوماً من الأخطاء ، ولا يسأل عما يقوم بفعله ، لأنه المعلم الأكبر ، الذي ورث العلوم الدينية ، بما فيها أسرار الكون وخفايا الغيب التي انتقلت إليه من النبي صلى الله عليه وسلّم ، عن طريق علي بن أبي طالب وأبنائه من بعده " [٢] .

ويتفق المؤرخون على أن عهد الخلافة ، هو أزهى العصور الأموية سياسيا ، لأنّه يمثل عهد النّضج الذي بلغته الشخصية الأندلسية ، بعد عمليات التّبلور والمخاض في المجال السّياسّي ، ففي هذا العهد اتجهت الأنظار من المشرق والمغرب ، ومن طرف الدول والإمارات الأجنبية إلى الأندلس ، فتوالت الوفود والرحلات إليها ، مما أتاح الفرصة

---

[١] أحمد مختار العبادي – في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٢ ،١٥٣.

[٢] أحمد مختار العبادي – في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٨٢ ،١٨٣ .

لظهور الشخصية الأندلسية المبدعة في كثير من المجالات ، وخاصة في مجال الإبداع الشعري الذي واكب الأحداث الكبرى التي عرفتها على الصعيدين الداخلي والخارجي مما أكسب هذا الشعر قيمة وثائقية هامة .

## ملامح من الصراع الداخلي والخارجي :

### الصراع الداخلي :

لقد عانت الأندلس من وطأة الكثير من القلائل والاضطرابات ، فقد عرفت الأندلس ثورات لم يعرف بلد مثلها ، على الأقل من حيث العدد ، فقد كانت الثورات في دولة بني أمية متعددة ، ولعل أهمها وأخطرها ، التي كانت تهدف إلى إزالة سلطان الحكم الأموي وهي ثورة عمر بن حفصون [١] ، وتعتبر أطول حركة تمردية متواصلة من شخص واحد إذ امتدت حوالي نصف قرن ، منذ عهد الأمير محمد إلى أوائل عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقد ساعدت هذه الثورة على انتشار ثورات أخرى مثل ثورات الثغور ، كتمرد بني المهاجر في ( سرقسطة )قاعدة الثغر الأعلى ، وبني ذي النون في (شنت ياقب) وغيرها ، واستغلها المولدون وتعاطفوا مع زعمائها ، كما استغل نصارى الشمال هذه الأوضاع للقيام بغارات متواليات على الأراضي الإسلامية .

ونتيجة لهذا الصراع ، وجدنا الشعر يعبر عن هذا الصراع الذي خاضته الدولة الأموية مع الثوار والناقمين عليها ، وعن صراعها مع الممالك الإسلامية المنافسة لها ، وقد كان شعر المديح ووصف المعارك ذا أثر واضح في زرع الحماسة في النفوس ، وذلك من خلال رسم الصور المثالية والدعوة إلى التشبث بالصفات العليا من خلال مدح الممدوح ووصفه.

---

[١] أنظر ابن عذارى – البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١١ ،١١٥ ..

## الصراع الخارجي:

كانت الممالك النصرانية ممتدة على طول الحدود الشمالية لبلاد الأندلس ، ومن هذه الممالك ما كانت تشكل القوة النصرانية في مواجهة القوة الإسلامية كمملكة الجلالقة ، أو مملكة جليقية ، وتسمى أيضاً مملكة ليون ومملكة نافارا أو بنبلونه وسكانها هم البشكونس أو الباسك ، وتقع شرقي مملكة ليون وتقابل الثغر الأعلى للأندلس [١].

والعلاقة بين الدولة الإسلامية في الأندلس وهذه الممالك النصرانية قامت على الإغارة والحرب ، ومن هنا تأتي أهمية الثغور والرباط فيها وتجدر الإشارة إلى أن ثغور الأندلس ثلاثة : الثغر الأعلى ، والثغر الأدنى ، والثغر الأوسط ، وتعد بمثابة النقاط الحربية الرابطة للجهاد دوماً والرّد على عدوان النصارى . وقد وصف المقري دولة بني أمية بالأندلس " بانها كانت أنبل دول الإسلام ، وأنكاها للعدو ، وبلغت من العزّ والنصرّ ما لا مزيد عليه " [٢] .

غير أنّ للدولة الإسلامية ارتباطات حضارية مع بعض الممالك النصرانية من مثل الإمبراطورية الجرمانية والإمبراطورية البيزنطية ، وقد فرض المسلمون هيبتهم على معظم الممالك النصرانية بما حققوه من انتصارات وقد دخلت هذه الممالك في معاهدات الصلح التي جرت بين الطرفين .

وقد حمل هذا الصراع الخارجي الشعراء على مدح القادة ، ووصف المعارك ، بل إنّ بعض القادة كان شاعراً ووصف

---

[١] ابن حيان - شاليتا ، ص ٥٠ .

[٢] المقري - نفح الطيب ، ج١، ص ٣٠٦.

معانـــاتـــــه لذلـك مبـــاشـــــرة ، ولا تهمـــنا الأســـماء بقـــدر ما يهمنا الصفات البطولـــية التـــي يضـــفيها الشـــعراء علـــى ممدوحـــيهم ، ومـــا تثيره من ارتياح ومســـرة فـــي الـــنفوس خاصـــة أنهـــا بين الإسلام وأعدائه النصارى المتربصين بإسقاط دولته .

## ثانياً : فكرياً :

لقد وثبت الثقافة الأندلسية في فترة العهد الأموي وثبة عظيمة ، فقد تأثر أهل الأندلس بعلوم العرب ومن ثم تسللت لهم علوم الأوائل ، وقد مرت الثقافة في زمن الدولة الأموية بمرحلتين ، مرحلة الأمراء ومرحلة الخلفاء .

فأمّا مرحلة الأمراء ، فإن جهود هشام الأول توجهت إلى العلوم الدينية وإلى فقه الأمام مالك خاصة ، مما ساعد على رواج سوقه بالأندلس ، بعد ما كان الأندلسيون أول الأمر أوزاعين فقد انتشر المذهب المالكي على يد الحكم بن هشام ، وأصبح المذهب الرسمي للدولة أولاً ، والمذهب الغالب الشائع العام بين الناس ثانياً ، " ومن أهم العوامل التي حملت الأندلسيين على الإعجاب بالمذهب المالكي والتمسك به والتّعصّب له ، موافقته لطبيعتهم العقلية ، فهو مذهب يعتمد على النص ولا يفسح المجال كثيراً للعقل ، وهو مذهب يكره التفريع والتفلسف والمنطق " [١] .

وعلى الرغم من رواج المذهب المالكي إلا ان الأندلس في هذه الفترة لم تكن خالية خلواً مطلقاً من المذاهب الإسلامية الأخرى ، فقد وجد من اعتنق مذهب الإمام الشافعي ( ت ٢٠٤هـ ) ومذهب أبي سليمان الظاهري ( ت ٢٧٠هـ ) .

إلا أن هذين المذهبين لم يستطعا مضايقة المذهب المالكي بالأندلس ومنذ مطلع القرن الثالث نرى الأمراء يشجعون العلماء والأدباء ، ويفسحون لهم في المجالس ، وهذا كان شأن عبد الرحمن الأوسط الذي كان شاعراً وشغوفاً بمطالعة علوم الأوائل ، فقد كان محباً للمطالعة وكتب الفلسفة ، وباعثاً في طلب الكتب من الأمصار ، وقد أرسل عباس بن ناصح إلى المشرق ليبحث له عن الكتب القديمة وينقلها إلى قرطبة " [٢] . وبذلك

---

[١] أحمد هيكل – الأدب الأندلسي ، ص ٨٠ .

[٢] المقري – نفح الطيب ، ج١ ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

فتح الأمير عبد الرحمن الأوسط للثقافة آفاقا جديدة بأن فسح المجال للفلسفة بالظهور على الرغم من تنافيها مع العقلية الأندلسية .

وفي زمانه دخل زرياب إلى الأندلس [١] الذي أسهم في نقل كثير من أساليب الحياة ، وأسباب الرفاهية من بغداد إلى الأندلس .

وكان لدخول زرياب الأندلس أثرٌ في تشكيل حركة شعرية تجديدية من إضافة الوتر والغناء ونشوء الموشحات .

وسار الأمير محمد على خطا أبيه في تشجيع العلم والعلماء فقد " كان محباً للعلوم مؤثراً لأهل الحديث ، عارفا " [٢] .

وقد حرص على اقتناء الكتب لمكتبته وخصّ العلماء بالرعاية، ودفع عنهم الأذى وفسح لهم المجال لنشر علمهم ، مثل ما فعله مع عبد الرحمن ( بقي بن مخلد ) ومضيف ابن أبي شيبه [٣] .

ويأتي الأمير عبدالله ليمثل المرحلة الأولى من الثقافة وقد كان أديباً وشاعراً بصيراً باللغة ، وأيام العرب " [٤].

ورحل في زمانه محمد بن عبدالله بن مسرة [٥] إلى المشرق خوفاً منه وهو أول فيلسوف في الأندلس ، ومذهبه خليط من التصوف والاعتزال والباطنية وكان الفقهاء يترصدون هذه الظاهرة ويقومون ضدها ، والفلسفة تنافي العقلية الأندلسية وكانت محاربة من قبل الفقهاء والحكام والعامة .

وفي القرن الرابع تبلغ عناية الخلفاء بالحركة الثقافية قمتها ، خاصة على يد الخليفة الناصر لدين الله وولده الحكم المستنصر ، فقد شجع الناصر القادمين إلى الأندلس من علماء المشرق ، فقد أحسن استقبال أبي علي

---

[١] المقري – نفح الطيب ، ج٣ ، ص ١٢٧.

[٢] الحميدي – جذوة المقتبس ، ص ١١.

[٣] الحميدي – جذوة المقتبس ، ص ١٢.

[٤] ابن الأبار – الحلة السيراء ، ج١ ، ص ١٢٠.

[٥] الحميدي – جذوة المقتبس ، ص ٥٨.

القالي ، وأسند إليه تأديب ابنه الحكم ، ومكّن له ليعلم الأندلسيين في قرطبة [١] .

" وقد جلب الكتب القديمة من الأقاليم ، ورجع في زمانه ابن مسرة إلى الأندلس " [٢] .

ويدل رجوع ابن مسرة إلى الأندلس على التسامح والمزاوجة في الثقافة بين علوم القرآن وعلوم الأوائل .

واشتهرت المكتبة الأموية في قرطبة التي أنشأها الناصر بإشراف ولي عهده الحكم المستنصر " ولم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهممُ بها ، ويدفع فيها أغلى الأثمان ، كما فعل مع أبي فرج الأصفهاني ، حين وجهّ إليه ألف ديناراً عيناً ذهباً ليرسل إليه نسخة من كتاب الأغاني ، فبعث إليه بنسخه من كتابه قبل أن يظهر في بغداد " [٣] . وقد كانت فهارس المكتبة الأموية " أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة " [٤] .

وقد كان الحكم كذلك يشجع العلماء على التأليف ، ويقترح على المؤلفين بعض الموضوعات ، كما اقترح على الخشني تأليف كتابه قضاة قرطبة ... وعلى الزبيدي تأليف كتابه طبقات النحويين واللغويين " [٥] .

نقول إن هذه المرحلة جمعت بين علوم القرآن وعلوم الأوائل ، فقد ظهرت الفلسفة ونشأت المكتبات والتأليف . ونلاحظ أن

---

[١] المقري – نفح الطيب ، ص ٨٤، ٨٦.

[٢] أنجل بالنثيا – تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٣١،٣٣٢.

[٣] ابن الأبار – الحلة السيراء ، ج١ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢.

[٤] ابن الأبار – الحلة السيراء ، ج١ ، ص ٢٠٣.

[٥] المقري – نفح الطيب ، ج١ ، ص ١٨٢.

الفكـــر بمـــا يشـــمله مـــن حضارة وثقافة كان أصيلا بمشاربه المتعددة ، شاركت فـــيه أجـــيال الحكـــم الأمـــــوي فـــي الأندلس ، فصبت فيه روافد الثقافة من كل جانـــب، فكانـــت كالـــبحر الزاخـــر الذي لا يمكن وصفه إلا أنه أندلسي ، تضافر معهـــا العـــامل الاقتصـــادي فـــي خلـــق حـــركة ثقافـــية نشطة ، والفكر يؤثر في المعاني الشعرية والصور الفنية ....

ومسجد قرطبة الجامع نموذج آخر لما يمكن أن تحدثه الوفرة والثراء من حضارة وبذخ وعمران ، ولقد بناه عبد الرحمن الداخل في سنة ١٦٩ هـ ، وقد اهتم الأمراء الأمويون به ، فزادوا فيه زيادة بعد أخرى ، ونلاحظ أنّ قرطبة قد نالت اهتماماً بالغاً من الدولة الأموية ، وعملت على تزينها وتوسيعها ، وتعميرها ، وتوفير جميع المرافق الضرورية لها ، فكثرت المساجد والمتنزهات ، وربما كان السبب في الاهتمام بالعمران بها إلى هذا الحد يرتبط بعوامل سياسية ، فقد كان الأمويون يرغبون في مضارعة بغداد عاصمة العباسيين ، ويسعون إلى جعل قرطبة تتفوق عليها ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يرغبون في أن تكون عاصمتهم جديرة باستقبال سفراء الممالك الأجنبية والشخصيات الزائرة الأندلس .

# الفصل الأول : موضوعات المديح

[١] المديح السياسي .

أ- في المجال الحربي

ب- في المجال المذهبي

٥٨٢٨٦٧

[٢] المديح الاجتماعي .

أ- التكسبي

ب- الإعتذاري

ج- مناسبات اجتماعية

[ ٣ ] شخصية الممدوح

## ١ ] المديح السياسي :

لما كان شعر المدح من أبرز فنون الشعر العربي ارتباطاً بالسياسة والحكام على مدى التاريخ ، فقد تأثر هذا الفن بسياسة عصره سلباً وإيجاباً ، وعلل لذلك غرسية غومث بقوله : " وكانت هذه المدائح ضرورة لازمة للملوك وذوي الشأن ، ودوافعها النفسية واضحة لا تحتاج إلى بيان ، فقد كانت للشعر عند العرب قيمة سياسية كبرى ظلّ يحتفظ بها على مرّ الأعصر ، ثم إن التصوير والمثالة كانا مُحَرَّمين على المسلمين ، ومن ثم كانت قصيدة المديح تقوم مقام اللوحات الرسمية التي كان غير المسلمين من الملوك يؤجرون الرسامين على رسمها " [١].

وجاءت قصائد المديح في الأندلس سجلاً حافلاً يصور الأحداث السياسية والمناسبات الاجتماعية المختلفة ، ونلاحظ أنها جرت في اتجاهين يكمل بعضها بعضاً ( وهما الاتجاه الحربي والمذهبي) .

## أولاً : المجال الحربي :

لقد احتلّ شعر الحرب على الصعيدين الداخليّ والخارجيّ مكاناً بارزاً في قصيدة مديح بني أميّة في الأندلس ، والذي أعان على ذلك الحياة السياسية في الأندلس ، فقد فاخر شعراء الأندلس بشجاعة أمرائهم وحكامهم في خوض المعارك والحروب ، وباستهانتهم بالحياة ، واحتقارهم الدنيا إزاء الشهادة في سبيل الله .

فعلى الصعيد الداخلي كانت الفتن والثورات التي حاول أصحابها الخروج على طاعة الدولة ، ومحاولة الأمراء والخلفاء إقرار الأمور في نصابها سواءً بمصانعة الثائرين ومهادنتهم حيناً أو القضاء عليهم حيناً آخر ، احلالاً للأمن والأمان في المجتمع .

---

[١] غرسية غومث – الشعر الأندلسي ، ص ٦٠ .

من الموضوعات الحيوية التي استأثرت بعناية الشاعر الأندلسي ، وقد حفظ تاريخ الشعر الأندلسي صوراً لتلك الغزوات وما صاحبها من معارك .

فالشاعر أبو المخشي يمدح الأمير عبد الرحمن الداخل ( ١٣٨-١٧٢هـ ) ممجداً انتصاراته على أبي الأسود الفهري [١]، ويرسم صورة بما حلّ باتباعه حين أضحوا فرائس للنسور ، مهدداً بدوام الخوف ، مظهراً له التشفي نابزاً له بابن اللقيطة يقول :

وإذا تُساءلُ عَن مَوَاقِعِ مَعْشَرٍ ... وَرَدُوبِهِمْ طلبُ الذي لَمْ يُقْدَرِ

بُعداً لِقتلى بالمجانِص أصبحت ... جيفاً تلوح عظامها لم تقبر

فالليلُ فيها للذئابِ فَرَائِسٌ ... ونَهَارُها وَقْعٌ لِنبْش الأنسرِ

فلتركبنكَ ما هَرِبْتَ مَخافةً ... منِه ، فقعْ يا ابنَ اللقيطةِ أوْطرِ [٢]

ومن الوقائع التي دارت بين الأمويين وحركات المولدين وغيرهم من الثوار حركة عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، أحد ثوار المولدين ، وقد التقى معه الأمويون في عدة معارك ومنها الغزوة المعروفة بغزوة " اللّبّود " [٣] التي كانت مدينة " ماردة " مسرحاً لها ، فقد غزاها الأمير محمد بنفسه ، وقد أرّخ محمد بن عبد العزيز العتبي [٤] لهذه الوقعة ، مظهراً الشماتة والتشفي بما أصاب ابن مروان الجليقي :

سَائِلْ بماردَةٍ سُيُوفَ مُحَمَّدٍ ... خَلِينَ مَارِدَةً كَأَنْ لَمْ تُمْرَدِ

غَمَطَتْ مُسالَمَةَ الأمير وَهَيَّجَتْ ... حَرْباً أباحَتْهَا لِكُلِّ مُهَنَّدِ

يَتْرُكْنَ أبْنَاءَ النِّفَاقِ كأنَّهُمْ ... بالقَاعِ صَرْعى قَهْوَةٍ أوْ مُرْقِدِ [٥]

---

[١] هو أبو الأسود الفهري محمد بن يوسف بن عبد الرحمن آخر ولاة الأندلس ، فرّ عقب هزيمة والده ومقتله سنة (١٤٢هـ ) على يد عبد الرحمن الداخل وانتهى به الأمر إلى " قورية " ليجمع الثوار ضد الداخل وهناك جرت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمته سنة (١٦٩هـ ) ( انظر لسان الدين ابن الخطيب الاحاطة ٤/٢٣٤) .

[٢] لسان الدين ابن الخطيب – الاحاطة ، ج٤ ، ص ٢٣٤.

(٣) ذكرها ابن حيان وقال إنها كانت سنة (٢٥٤هـ ) ، المقتبس ، ص ٣٢٣.

[٤] هو شاعر الأمير محمد هو المخصص بابنه القاسم ابن محمد انظر ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج١ ، ص ١٦١.

(٥) ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٢٣ .

وكأنّ عاكفة النسُّور عَلَيْهِمُ  أبناءُ حامٍ يَعْكِفونَ بِمَسْجِدِ[١]

وكذلك شارك الشعر في تصوير معركة " قلعة الحنش " [٢] عقب فرار ابن مروان الجليقي [٣] من قرطبة ، واتجاهه إلى قلعة الحنش جنوب ماردة ، ليتحصن بها سنة (٢٦١هـ ) إذ كانت معركة ضارية ، استعمل فيها الأمير محمد المناجيق ،ويذكر ابن عذارى : " أنّ الأمير محمداً حاصره مدة ثلاثة أشهر ، فلجأ هو وأصحابه إلى أكل الدواب ، وقطع عنه الماء إلى أن أذعن وطلب الأمان "[٤].وقد تناول ذلك عباس بن فرناس بأبيات يصف فيها المعركة التي وقعت في هذه القلعة ، ومصابرتها رجام المناجيق .. ويمدح الأمير محمداً ويصف الجند ، ويشيد بالنسب العريق له في أصل الشجاعة والكرم ، فيقول :

يا ابنَ الخلائِفِ مِنْ مَرْوانَ أنجبَكَ  البِيْضُ الجهَاضيمُ والغُرُّ اللَّهَاميمُ ؛

سَخَّرْتَ لِلْحَنَشِ المَرْجُومِ ذا جَشَرٍ  كُلَّ البَرِيَّةِ..... مَهْزُومُ[٥]

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٢٣.

[٢] قلعة الحنش تقع جنوبي ماردة إلى الشرق ، ابن حيان ، المقتبس ، تعليق ٥٧٨.

[٣] ابن مروان الجليقي هو عبد الرحمن بن مروان بن يونس ، ثار مع جماعة من المولدين في سنة ( ٢٥٤هـ) في ماردة في عهد الأمير محمد وقتل على يد أصحابه لخلاف وقع بينهم زمن الناصر سنة (٣١١هـ ) .

[٤] ابن عذارى المراكشي – البيان المغرب ، ج٢ ص ١٠٢ .

[٥] الجهاضيم : معناه الرحب الواسع الصدر وهو من أسماء الأسد ، اللهاميم : هو الكثير الخير ، الجشر : شدة الصوت(انظر المعجم الوسيط)وهو يشير إلى هذه الحجار المنجنيق انظر الأبيات في المقتبس ، ص ٢٣٠.

وكأنّ عاكفـة النسُّور عَلَيْهِـمُ  أبناءُ حامٍ يَعْكِفونَ بمَسْجِـدِ[١]

وكذلـك شـارك الشـعر فـي تصـوير معـركة " قلعة الحنش " [٢] عقب فـرار ابـن مـروان الجليقـي [٣] من قرطبة ، واتجاهه إلى قلعة الحنش جنوب مـاردة ، ليتحصـن بهـا سـنة (٢٦١هـ ) إذ كانـت معـركة ضـاريـة ، اسـتعمـل فـيها الأمـير محمـد المناجـيق ،ويذكـر ابن عذارى : " أنّ الأمير محمـداً حاصـره مـدة ثلاثـة أشـهر ، فلجـأ هـو وأصحابه إلى أكل الدواب ، وقطـع عـنه المـاء إلـى أن أذعن وطلب الأمان "[٤].وقد تناول ذلك عبـاس بن فـرناس بأبـيات يصـف فـيها المعـركة التـي وقعـت فـي هـذه القلعة ، ومصـابرتها رجـام المناجـيق .. ويمـدح الأمـير محمداً ويصف الجند ، ويشيد بالنسب العريق له في أصل الشجاعة والكرم ، فيقول :

يا ابنَ الخلائِفِ من مَرْوانَ أنجبكَ  البيْضُ الجهَاضيمُ والغُرُّ اللَّهَاميمُ ؛

سَخَّرْتَ لِلْحَنَشِ المَرْجُوم ذا جَشَشٍ  كل البَرِيَّةِ..... مَهْزُومُ[٥]

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٢٣.

[٢] قلعة الحنش تقع جنوبي ماردة إلى الشرق ، ابن حيان ، المقتبس ، تعليق ٥٧٨.

[٣] ابن مروان الجليقي هو عبد الرحمن بن مروان بن يونس ، ثار مع جماعة من المولدين في سنة ( ٢٥٤هـ) في مادرة في عهد الأمير محمد وقتل على يد أصحابه لخلاف وقع بينهم زمن الناصر سنة (٣١١هـ ) .

[٤] ابن عذارى المراكشي – البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١٠٢ .

[٥] الجهاضيم : معناه الرحب الواسع الصدر وهو من أسماء الأسد ، اللهاميم : هو الكثير الخير ، الجشش : شدة الصوت (انظر المعجم الوسيط) وهو يشير إلى هذه الحجار المنجنيق انظر الأبيات في المقتبس ، ص ٣٣٠.

ويشارك العتبي في وصف هذه المعركة ، فيثني على الأمير محمد، ويصف الهزيمة التي ألحقها بهم ، مؤكداً بطولة الأمير محمد وبأسه ، والشاعر يأخذه الإعجاب بممدوحه في دحر الضلال ، فهو قمرٌ يندحر أمام نوره ظلام الكفر الذي يخيّم على المتمردين ، فيقول :

شَهِدْتُ ما البأسُ للصَّمْصَامَةِ الذَّكِرَ ولا البسالةُ للضِّرغامةِ الهصِـرِ
بَلْ هُنَّ لِلْمَلِكِ المَحْذُورِ صَوْلَتُهُ مُحَمَّدٍ صَفْوةِ الرَّحْمنَ من مُضَرَ
مُحَمَّدٌ قَمَرُ المُلْكِ الَّذي انقَشَعَتْ بِهِ دُجَى الغَيِّ من بَدْوٍ ومَن حَضَرَ (١)

ومن الفتن التي شهدتها منطقة الثغر الأعلى ، وكان لها صدى في الشعر ، تمرد بني موسى بن قسي ، الذين تعدد نكثهم للعهود ، ولا سيما في عهد الأمير محمد ، إذ وجَّه إليهم عام (٢٥٩هـ ) جيشاً في الصائفة ، فهزمهم فيها ، وقد أثارت هذه المعركة قريحة الشعراء الذين تنافسوا في تصوير مشاهد المعركة ، وتعداد صفات الأمير ، والثناء عليه . ومن ذلك قصيدة مؤمن بن سعيد ، التي أبرز فيها قوة الأمير وقدرته على التنكيل بالأعداء واخضاعهم ، فيقول :

دَع اللّها يُعْيِها مُحَمَّدَها أسْنَى بَنِي غَالبٍ وَأمْجَدُها
أشياعُ لُبٍّ سنابلٌ خَضَعَتْ أعْنَاقُها فالسُّيوفُ تحصُدُها
دَانُوا لَهُ وَهو وَارِدٌ بهِمُ حياضَ حَتْفٍ يُعافُ مَوْرِدُها(٢)

وعارض العتبي هذه القصيدة في الموضوع نفسه ، فمدح الأمير محمد بحسن البلاء في الحرب :

دَع الوَغَى لَمْ يَزَلْ مُحَمَّدَها يُوقِدُ نيرانَها ويُخْمِدُهَا
فَلَيْسَ تُرْوَى السُّيوفُ إنْ ظَمِئَتْ إلاَّ إذا علَها مُحَمَّدُها (٣)

---

(١) ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠، الصمصامة : السيف الصارم لا يثني ، والضرغامة : الضرغام الأسد الضاري الشديد والشجاع ، المصر : الأسد ، ومن الرجال : القوي الشديد (المعجم الوسيط مادة صمصم ، هصر )

(٢) ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٣٥.

(٣) ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٣٦، ٣٣٧ .

وكانت حركة ابن حفصون الذي تمادى في عصيانه وتمرده ، من أخطر الحركات التي عرفتها الأندلس في هذه الحقبة ، وقد أكبّ الشعراء على تصوير أحداث المعارك التي دارت بين الجيش الإسلامي من جهة ، وابن حفصون واتباعه من جهة أخرى ، وقد سجل ابن عبد ربه (٣٢٨هـ ) هذه الأحداث من خلال قصيدة مدح فيها الأمير عبدالله بن محمد بشجاعته وعزيمته القوية ، وحسن التدبير وتوزيع الجيش ، وشرح في مقدمتها مسوغات الغزو ودواعيه ، مهنئاً الأمير بانتصاره على ابن حفصون ، وفتح حصن ( بلاي ) سنة (٢٧٨هـ ) ومما يقول فيها :

الحقُّ أبلجُ واضحُ المِنْهَاجِ ... والبدرُ يُشرقُ في الظلامِ الدّاجي

والسّيْفُ يعدِلُ مَيْلَ كُلِّ مُخَالفٍ ... عُمِيَتْ بَصيرتُهُ عَنِ المِنْهاجِ

نَشَرَ الخليفةُ للخِلافِ عَزيمةً ... طَوتْ البلادَ بجَحْفلٍ رَجْراجِ

جيشٍ يَلَفُّ كتائباً بكتائبٍ ... ويضُمُّ أفْواجاً إلى أفْواجِ[1]

وقد أثارت هذه المعركة شاعرية العكي [2] ، فمدح الأمير نفسه ، واصفاً جيشه الذي يملأ السهل والجبل ، ويمتد بين مشرق الشمس ومغربها ، كثيفاً متراميا ، يقول :

أجِلْ لحْظَ طَرْفِ النأظِرِ المُتَأمِّلِ ... تَرَ البَحْرَ يَطْفُو فَوْقَ سَهْلٍ وأجْبُلِ

تَغُصُّ بِجَيْشٍ مُدَّ ما بين مَشْرِقٍ ... ومَطلع شَمْسٍ جُنْح ليلٍ مُوصَّلِ

فقُلْ لابن حفصونَ رُوَيْدَكَ إنَّها ... كَتَائِبُ دُقَتْ قَمْطَريراً بأكْفُلِ[3]

---

[1] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٣٩،٤٠.

[2] هو سعيد بن عمرو العكي الشاعر اشتهر بمديح الأمير عبدالله بن محمد انظر ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٠٣ ،١٠٤.

[3] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٠٣ ،١٠٤ .

وكانت غزوة المنتلون [١] من أمهات المعارك التي قادها الخليفة الناصر لدين الله ضد المولدين وعلى رأسهم ابن حفصون ، وقد افتتح الخليفة الناصر خلال ذلك جيان التي كانت مسرحا لمعركة ضارية بين الطرفين ، وكتب الله النصر للمسلمين في هذه الغزوة ، وقد تغنّى ابن عبد ربه بهذا النصر الذي اعتبره تجديداً للإسلام ، مشيداً بالخليفة الذي تحمل العبء في ذلك ، مادحا له بالعدل وأنه رجل حرب وسلم ، فهو خليفة وابن خليفة ناعتا أعداء الإسلام من المولدين المتمردين والمتحالفين معهم من العجم بصفات الكفر والنفاق والشرك ، وهذا نموذج يوضح الاتجاه الإسلامي الصريح حيث يقول :

يا ابنَ الخلائِفِ إنّ المُزْنَ لوْ عَلِمَتْ ... بذاكَ ما كانَ فيها الماء ثُجّاجا

والحَرْبُ لوْ عَلِمَتْ بَأساً تصولُ به ... ما هيّجَتْ من حُمياك الذي اهتاجَا

مات النفاقُ وأعطى الكفر ذِمّتَهُ ... وذلّتْ الخيلُ إلجاماً وإسْراجا

تُمْلأ بِكَ الأرضُ عدلاً مِثْلَ ما مُلئَتْ ... جَوْراً وتوضحُ للمعروفِ منهاجا [٢]

بهذا ، نلاحظ أنّ قصيدة المدح الأموية التي عالجت موضوعاً سياسياً عسكرياً في القضاء على المتمردين والثوار ، قد سجلت الأحداث التي مرّ بها المجتمع على الصعيد الداخلي من خلال المزج بين وصف المعارك وتسجيل صفات الممدوح والإشادة بانتصاراته .

وقد حصرت هذه الغزوات على الرغم من كثرتها ، واقتصرت على الشعر الذي صور المواقف التي كان عليها الأمراء والخلفاء في هذه الغزوات ، فاظهر الشعراء من خلال ذلك الشماتة بالمتمردين ، وأبانوا عن تشفٍ بقتلهم ونعتوهم بالكفر والخروج من الدين ،

---

[١] المنتلون حصن يقع قريباً من مارتش ويقول المؤرخون أنه لم يكن مثل هذه الغزوة لملك من الملوك في الجاهلية والإسلام ، (انظر ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج٤ ، ص ٥٠٠ )

[٢] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٣٦ .

وأظهـروا سـرورا بالانتصـار علـيهم ، وقـد خلـع بعـض الشعراء المعاني الإسـلامية علـى وصـف هـذه الغـزوات ، أضفى النفاق والكفر بالخروج عن الملـة والديـن علـى المتمرديـن والمتحالفين معهم من العجم وغيرهم من أعداء الإسلام .

## شعر الصراع الخارجي :

أضفى جوار الأندلسيين بالروم في الجزيرة الأندلسية ، صفة التأهب الدائم والجهاد المستمر للتصدي للخطر الداهم ، المتمثل في الممالك النصرانية الممتدة على طول الحدود الشمالية للأندلس ، مما جعل الحميدي يصفها بأنها " تغر من ثغور المسلمين ؛ لمجاورتها الروم واتصال بلادهم ببلادهم " [١].

وانتبه الأمويون إلى أهمية الثغور ، والرباط فيها للجهاد ، وقد وصفت دولة بني أمية بالأندلس ، " بأنها كانت أنبل دول الإسلام ، وأنكاها للعدو ، وقد بلغت من العزّ والنصر ما لا مزيد عليه " [٢].

وتتبع الشعراء حركة الصراع بين المسلمين والنصارى خلال هذه الحقبة ، وما يلابسها من غزوات وفتوحات ، وما أعقبها من نصر أو هزيمة ، وما تخللها من فترات سلم أو هدنة ، سافر فيها الطرفان ، وتبادلا الوفود بينهما ، كما أشادوا بسياسة الحكام والقادة في ميادين السلم والحرب .

وبرع العديد من الشعراء في تسجيل هذه المعارك نظراً لمرافقتهم جيوش المسلمين ، حيث كان الأمراء يصطحبون في غزواتهم الشعراء ، ويستحثونهم على القول فيها ، إذ يقول ابن عذارى " وبلغ الأمر بالأمير الأموي المنذر بن محمد (٢٧٣ – ٢٧٥ هـ ) أنه كان يستمع إلى الشعراء ينشدونه غازياً وراجعاً " [٣] .

ففي موقعه وادي سليط [٤] (٢٤٠هـ ) التي قادها الأمير محمد بن عبد الرحمن عقب ارتقائه كرسي الإمارة للقضاء على المشركين ، كثرت

---

[١] الحميدي – جذوة المقتبس ، ص ٧.

[٢] المقرّي – نفح الطيب ، ج١ ، ص ٣٠٦.

[٣] ابن عذارى المراكشي – البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١٨٠.

[٤] وادي سليط هو نهر يصب في الناحه حنوي طليطلة المقري ، نفح الطيب ، ج١، ص ٣٥٠ .

مدح التي سجلت له هذه المأثرة الدينية في الدفاع عن دولة الإسلام ، وصونها قوية منيعة ، ففيها يقول عباس بن فرناس مشيدا به ، مفتخرا بما حققه من نصر ، معتذرا عن عدم ايفائه حق قدره من الوصف ، وحسبه أنهَ سمُي خاتم الأنبياء :

وَمُخْتَلِفِ الأصواتِ مُؤتلِفِ الزّحْفِ لهوم الفلا عَبْل القنابل مُلْتَفِ
إذا أوْمَضتْ فيه الصَّوارمُ خِلْتَها بُروقا تراءى في الجهام وتَسْتَخْفي
سميُّ ختام الأنبياءِ محمّد إذا وصف الأمْلاك جُلَّ عن الوصفِ[1]

فالشاعر عباس بن فرناس يصور الجيش الزاحف بالعتاد والعدة ، فيبعث منظره الرهبة في نفوس الأعداء ويحمل النفس على الزهو بقدراته .

أما مؤمن بن سعيد فيمدح الأمير محمدا قائد الجيش الإسلامي ، ويضفي عليه صفات الولي والإمام وهي من المعاني الشيعية ، ويصف حماسة الجيش الإسلامي واقدامه مؤكدا أنّ جيش الأمير يحارب في سبيل الله ، ويتسلح بالإيمان والصدق ، وإنّه لا بدّ أن ينتصر يقول :

شهدتُ أنَّ وليّ اللهِ منصورُ وأنَّ من حاربَ الإسلام موْتورُ
أضْحَى الإمامُ لنا حِصْنا نلوذُ بهِ إنْ يأتِنا حَدَثٌ أوْزارَ مَحْذُورُ
أنصارُ صِدْق لدين الله كُلُّهُمُ مُسْتَبْشِر بفتُوح مِنهُ مسرْوُرُ [2]

وللشاعر العتبي قصيدة في المعركة ذاتها ، يتحدث فيها عن فعل السيوف والرماح في الأعداء ، داعيا إلى سؤالها لمعرفة الخبر الصحيح ، واصفا فيها هزيمة الأعداء واندحارهم ، وكأن حرب الأمير صاعقة احرقتهم وتركتهم مثل الرماد الأزرق ، يقول :

سائِلْ عن الثّغْر الصّوارم تَصْدقُ واستَنْطِق السُمْرَ العوالِ تَنْطِق
تَرَكَتْ وقائِعَ في الثُغور وقدْ غدَتْ مَثَلا بكُلّ مُغَرِّبٍ ومُشَرّق[3]

---

(1) ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٩٩:٢٩٨.
(2) ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٩٩.
(3) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢، ص١١٣ .

جَادَتْ عَلَيْهِم حَرْبُه ، بِصَوَاعِقٍ تَرَكَتْهُمُ مِثْلَ الرَّمَادِ الأزرق[١]

وقد بلور الشعر الأندلسي في هذا المجال الفصول والقفول – ظاهرتين عسكريتين ، فكان الفصول [٢] – فرصة سانحة للتغني بالقائد " الممدوح " يتمنى الشعراء له النصر والتأييد ، وهو في أغلب الأحيان يكون الأمير أو الخليفة ، ومن ذلك قول الشاعر ابن عبد ربه في فصول الخليفة عبد الرحمن الناصر للغزو ، مشيراً إلى مظاهر الزينة التي عمّت البلاد استبشاراً وتيمناً ، وكأنّ الطبيعة تشارك الناس والخليفة فرحتهم ، يقول :

فَصَلْتَ والنّصرُ والتأييدُ جُندَاكا والعِزُّ أولاكَ والتّمكين أخْراكَا

وَرَحْمَةُ اللهِ في الآفاقِ قَدْ نُشِرَتْ والأرضُ تُبْدِي تَباشيراً مُبْدَاكَا

والنّاسُ يدَعونَ والآمالُ رَاغِبةٌ والطّوعُ يَرجُوكَ والعِصْيانُ يَخْشَاكَا[٣]

أما أبو بكر أحمد بن محمد بن مروان [٤] فيعتبر فصول الناصر إلى الغزو فاصلاً بين الجد والهزل وعلامات النصر واضحة ، يقول :

فصولكَ بَيْنَ الجِدِّ والهزلِ فاصِلُ وَيُمْنُكَ للدُّنْيا وللدّينِ شامِلُ

وَغَزوكَ لا تَخْفَى دَلائِلُ نَصْرِهِ وَقَدْ بَرَقَتْ لِلنُّجْحِ مِنْهُ المَخَايِلُ[٥]

وقد تناول الشعراء الإشادة ببروز[٦] القادة أمام الرعية قبيل الفصول إلى الغزو ، وهو حدث هام يثير الشعراء ، فعبيد الله بن إدريس [٧]

---

[١] ابن عذارى – البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١١٣.

[٢] الفصول تعني العزم ، المسير ، الزحف إلى المعركة . ( انظر المعجم الوسيط . مادة فصل )

[٣] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ١٢٧ ، ١٢٨.

[٤] هو أبو بكر أحمد بن محمد بن مروان بن المنذر بن الأمير عبدالرحمن بن الحكم ، كان غرة بيت الخلافة أدباً وشعراً ( أنظر ابن حيان ، المقتبس ، ج٥، ص ٤٥ ، ٤٦) .

[٥] ابن حيان – المقتبس ، ج٥ ، ص ٤٥.

[٦] جرت العادة في الغالب أن يكون البروز يوم الخميس ، ولعل في ذلك تيمناً بعمل النبي ( صلى الله عليه وسلم ) فعن كعب بن مالك أن النبي خرج في غزوة تبوك يوم الخميس ، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس ( متفق عليه ) . (انظر صحيح البخاري)

[٧] هو الوزير أبو عثمان عبيد الله بن يحيى بن ادريس ت ٣٥٢هـ كان وافر الأدب ، كثير الشعر جليلاً في إيام الناصر ولي الشرطة ثم الوزارة ، وعرف بالتواضع ، وكان يؤذن في مسجده وهو وزير . الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٣٥٥.

يمدح الخليفة عبد الرحمن الناصر في بروزه لبعض مغازيه مازجاً الطبيعة في مدحه ، فالخليفة شجاع وكريم ، ووجه منير ومشرق ، يقول :

أغَمَامَةٌ بَيْنَ البَوارِقِ تَهْمَعُ أمْ شارقٌ وسَطَ الكَتَائِبِ يَلْمَعُ

أمْ غُـرَّةُ القمرِ المُنيرِ تَحُفُّها زُهْرُ النُّجومِ أم الهلال يُصَدَّعُ

لا بَلْ هو الملكُ الذي في دِرْعِه وَنَجادِهِ هذي الصِّفاتُ الأرْبَعُ[1]

ولأبي حسن جعفر المصحفي ميمية طويلة في ذكر بروز الخليفة الناصر الفخم لغزو سرقسطة أكثر فيها التشبيب ثم قطع إلى مديح الخليفة ، يقول :

ويَوْمٍ بَدَا فِيهِ الإمَامُ مُبَرِّزاً أهَبُّ لنَفْسِي سَلْوَةً مِنْ غَرامِها[2]

وإذا كان اهتمام الشعراء بوصف الفصول إلى الغزو مميزاً ، فقد حظي القفول أيضاً بنصيب من اهتمامهم ، وما يبعثه في النفوس من عزة وخيلاء وارتياح ، وهي ظاهرة نجدها في شعر الحروب الداخلية والخارجية على السواء ، ومن ذلك ما نجده عند الشاعر عباس بن فرناس في تهنئة الأمير محمد بن عبد الرحمن ووصف قفوله من غزوة له ، وقد اقترن ذلك بعيد الفطر فاجتمع عيدان ، عيد الفطر وعيد النصر ، فيقول :

إنّ القُفُولَ الذي أوْفى بعيدين مُكَرَّمَيْن على الدُّنْيا عَزيزَيْن

قُدومُ أكْرَمِ مَنْ في الأرْضِ قاطِبَةً قُدوم فِطرٍ فكانا خَيْرَ عيدين[3]

ولم يفت الشعراء أن يسجلوا المعارك البحرية ، فابرزوا شجاعة الخليفة أو الأمير ، وأشادوا بقيادته ، ونقف في الأبيات التالية

---

(١) ابن حيان – المقتبس ، ج٥ ، ص ٤٦،٤٧.

(٢) ابن حيان – المقتبس ، ج ٥، ص ٤٨.

(٣) ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٢٩.

(٤) هو أبو بكر بن اسماعيل بن بدر القرطبي ، مولى بني أمية تلميذ لابن بقي والخشني وابن وضاح ، غلب عليه الشعر ، وتولى كثيرا من التلحيط في عهد الناصر ( انظر الجذوة ١٥٣ والحلة ج١ ص ٢٥٤ ).

لاسماعيل بن بدر[٤] (٣٥٢ هـ) والتي قالها في إحدى غزوات الناصر البحرية سنة (٣٠١هـ) حيث شهدها الشاعر كما يذكر ابن حيان ، وقد بيَّن فيها مدى اهتمام الخليفة بضبط البحر وساحله ، والخير الذي يجلبه معه ، يقول :

وهذا البَحْرُ يَذكُرُ مِنْكَ عَهْداً ... سَقَى مَغْنَاهُ نَوْءُ المِرْزَمَيْن

تَحِنُّ إليْكَ منه طَوامِيَاتٌ ... مِنَ الأمْواجِ مِلْءُ الخَافِقَيْن

لَئِنْ جاشَتْ غَوارِبُها بِمَاءٍ ... أُجَاجٍ لا يَسُوغُ لِوارِدَيْن

فأنْتَ البَحْرُ عَذْباً مُسْتَقِلاً ... عَلَيْنَا بالنُّضَار وباللُّجَيْن

فَعِشْ في غِبْطَةٍ وَحُبورِ مُلْكٍ ... يَدُومُ لَهُ دَوامَ الفَرْقَدَيْن[١]

فالشاعر يفضل الممدوح على البحر ، ويجعل عطاياه وهباته أعظم من موج البحر حتى حين يجيش ، وماءُ البحر ملحٌ أجاج غير سائغ للشاربين ، أمَّا عطايا الممدوح فلها وقع عذب مستساغ في النفوس . ثمّ يدعو له بالعيش الطويل .

وعنى الشعراء بوصف مظاهر استقبال الوفود السفارية القادمة من مختلف الجهات إلى قاعدة الدولة الأموية ، وهو موضع استغله الشعراء لعظيم شان الحكام الأمويين ، وإبراز قوتهم وقدرتهم على إخضاع ملوك الأعداء من جهة ، وبيان ذلك عن استحقاقهم الخلافة الإسلامية من جهة أخرى .

ومن أمثلة ذلك ما نجده عند المصحفي [٢] في وصف استقبال الخليفة عبد الرحمن الناصر لوفادة ملكة البشكنس [٣]، إذ يعبر عن اعتزاز المسلمين بهذا النصر ، ويرى أنه لم يعد هناك مجال للخوف في عهد

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ج٥ ، ص ٩١ ، ٩٢.

[٢] هو أبو الحسن المصحفي بربري الأصل ، ينتمي إلى قيس بالمخالفة ، تقلد المناصب في ايام الحكم المستنصر ، ثم أصبح حاجباً لابنه هشام ، فتغلب عليه المنصور ورماه في السجن ، إلى أن مات فيه (٣٧٢هـ) وكان مقدما في صناعة الشعر والكتابة ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج١ ، ص ٢٥٧.

[٣] هي " طوطة " وفدت على الناصر سنة ( ٣٤٧هـ) مع ولدها " شانجة " وحفيدها " غرسيه " ، (ابن الآبار . الحلة السيراء ج١ ص٢٥٩ )

الخليفة ، لأنه قادر على إحكام الأمور ، وبسط سلطانه على أركان البلاد ، ومن ذلك قوله :

لِيَ الأمْنُ مِنْ نهْش اللّيالي وعَضّها وإحْداثِها مَخْشِيها ومُمضها

وكَيْفَ يُخافُ الدَّهْرُ عِنْدَ خليفةٍ قديرٍ على بَسْطِ الأمُورِ وقبْضها[1]

ولإسماعيل بن بدر ( ت ٣٥١ هـ ) مشاركة في هذه المناسبة نفسها ، فهو يصف انقياد زعيمة البشكنس وخضوعها للناصر ، ويشبه ذلك بخضوع بلقيس لسليمان عليه السّلام ، ويذكر استجابته لطلبها ، وكيف أوسعها عفوا وأمنا بعد معاداتها ، ومن ذلك قوله :

وقدْ قيدتْ زعيمتهُمْ إليْهِ كبلقيس تُحُفُّ بِهِ الجُنُودُ

فبادرتِ السَّجُود لنورِ وَجْهِ لهُ وجَبَ التّواضُعُ والسُّجُودُ

فأوْسعها بفضل العفو أمْنا وقدْ كادتْ بُمهْجتها تَجُودُ[2]

وكان استقبال الناصر صاحب القسطنطينية [3] من أعظم أيام الأندلس ، ففي هذه المناسبة ألقى منذر بن سعيد البلوطي [4] خطبته الشهيرة ، حين أرتج على أبي علي القالي في مقامهِ آنذاك ووصلها بأبيات شعرية ، مدح فيها الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وتنبأ له بملك الشرق والغرب ، وهي أمنية تعكس الطموح السياسي الذي كان يملأ نفوس الأمويين بالأندلس ، واهتم البلوطي بوصف موقف ملك الروم بين يدي الخليفة الأموي يُحيط بهم الخوف والرجاء ، يقول :

لِخيْرِ إمامٍ كان أو هو كائنٌ لِمقتبلٍ أوفي العُصُورِ الأوائِلِ

---

(١) ابن حيان - المقتبس ، ج٥ ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) ابن حيان - المقتبس ، ج٥ ، ص ٣٣٧

(٣) هو رودمير ، وكانت هذه السفارة سنة (٣٢٨هـ) انظر ابن حيان ، المقتبس ج٥ ، ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(٤) منذر بن سعيد القاضي أبو الحكم يعرف بالبلوطي ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله وكان عالماً فقيهاً وأديباً بليغاً وخطيباً على المنابر وفي المحافل مصقعاً ، انظر الحميدي ، الجذوة ، ص ٣٢٦

وُفودُ مُلوكِ الرُّوم وَسْطَ فِنائِهِ مَخَافَـةَ يَـأسٍ أو رجـاءً لِنائِـلِ
سَتَمْلكُها مَا بَيْنَ شَرقٍ وَمَغْرِبٍ إلى دربِ قُسْطَنْطِين أو أرْضِ بابلِ[١]

وللشـعـر قصـائـد حِسـان فـي ذكـر خضـوع الملـك أردون بن أذفونـش [٥] المـتملك علـى أمـم الجلالقـة ، ومجيـئه طائعاً إلى باب الحكـم المستنصـر بـالله سـنة (٣٥١هـ) مـع وفـد من بلـده ، طالبـاً الصلـح والحمايـة ، فمـن ذلـك قـول عـبد الملـك المرادي [٢](٣٦٦هـ ) مادحاً الخلـيفة الحكـم المستنصـر ، واصـفاً تواضـع الملـك الجليقي وخضوعه أمام جلال الخليفة يوازن بين رفعه المسلمين وخضوع المشركين .

مَلِكُ الخِلافةِ آيةُ الإقبـالِ وسُعُودهِ مَوْصُولةٌ بِتَـوالي
فالمُسْلمونَ بعِزَّةٍ وَبِرِفعـةٍ والمُشْرِكُونَ بذِلَّةٍ وَسَفَـالِ
ألقتْ بأيْديها الأعاجُم نَحْوَهُ مُتَوَقِّعينَ لِصولةٍ الرئْبَـالِ
هَذا امَيرُهُمُ أتـاهُ آخِـذاً مِنْـهُ أواصِرَ ذِمَّـةٍ وحِبالِ
متواضِعاً لجلالِهِ متخشِّعـاً متبرعـًا لمّا يُرَعْ بِقتـالِ[٣]

وحيـن وفـدت علـى الخلـيفة الحكـم المستنصـر سفارة من حاكم إمارة برشـلونه [٤] سـنة (٣٦٠هـ) بهـدف عقـد معـاهدة سلم ، استقبلهم استقبالاً حـافلاً أطنـب ابـن حـيان فـي وصـف الاستعداد له ، وكان للشعراء دور في مـدح الخلـيفة وتهنئـتِهِ ، ومـنهم أحمد بن إبراهيـم الخازن [٥] الذي هنأ الخليفة الحـاكم المستنصـر ، وأشـار إلـى قوته ، فلو لم يأت هذا الطاغية طائعاً مختاراً لجـاء مكـبلاً بالقـيـود ، وفـي ذلـك دلالة سياسـة بعيدة المرمى إذ يُؤذن هذا

---

(١) هـو المعروف بالأحدب وكان ينازع ابن عمه ( شانجة بن رودمير ) الذي سبقه الى ولاية الملك ، وقد جاء يطلب عون الخليفة لتقوية جانبه على خصمه ، وبعث شانجة نفسه وفداص سفارياً في السنة نفسها معلناً خضوعه له ، ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ، ص٢٣٥ .

(٢) هـو عـبدالملك بن سعيد الخازن المعروف بالمرادي ، عاش في القرن الرابع وتوفي سنة (٣٦٦ هـ) وولاه الناصر كورة تاركنا من (٣٢٨-٣٣٠هـ) انظر الحميدي - جذوة المقتبس ، ص ٣٦٦ ، وذكره ابن حيان ضمن شعراء الناصر .

(٣)المقري - نفح الطيب ، ج١ ، ص٣٧١،٣٦٩ .

(٤) هو بربل بن شنير حكم ما بين (٣٤٣- ٣٨٢ هـ) وكانت سفارته برئاسة بون فليو بن سنديط ، تضم مجموعة من الفرسان تحمل الهدايا ، ومجموعة من الأسرى المسلمين ، انظر ابن حيان ، المقتبس ص ٢١،٢٠ .

(٥) هو أحمد بن ابراهيم الخازن بالزهلاء على عهد الحكم المستنصر ، ابن حيان ، المقتبس ،ص ٢٢ ، ٢٣ ..

بما بعده من انتشار سلطة الأمويين شرقاً وغرباً ، كما يُؤذن البرق بالرعود ، فضلاً عن أن الشاعر يرى انه لم يبق إلا أن يحل الخليفة الأموي في مكة أو يطرد منها من يستحق الطرد ، يقول :

لِيهْنَكَ أن لم يبقَ في الأرض ناكثٌ ولا مشركٌ إلا اتاكَ بلا عهدِ

فهذا ابن شيخ وهو طاغيةٌ لهُمْ رأى الرشْدَ في التحكيم والأمَن في القصدِ

وهذا لِمَنْ في الشرق والغربِ مؤذن كما أنَّ خَطْفَ البَرْق يُؤْذنُ بالرعْدِ

ولَمْ يَبْقَ إلا أنْ يَحِلَّ بمكةٍ فيَطْرُدَ عنها المُستَحَقِيَن للطَرْدِ(١)

وبذلك كانت مشاركة الشعر الأندلسي في تسجيل مآثر الأمويين برؤية إسلامية سياسية ؛ تحمل تاكيداً على أحقية الأمويين والسيادة والحكم في هذه البلاد من جهة ، وبالخلافة على المسلمين من جهة ثانية ولم تكن الإفرنج أعداء المسلمين في هذه البلاد بمعزلٍ عن مقاصد هذه الرؤية ، فقد كان الإعلان عن النصر رسالة واضحة لهم ذات أبعاد توجيهية إرشادية إلى ضرورة الخضوع لدولة الإسلام في الأندلس إما معاهدةً وإما نصراً في الحرب ، وقد حمل هذا الشعر تعريضاً ظاهراً بالعباسيين وغيرهم ممن ملك أمر المسلمين ، غير أنه لم يصل حدّ الهجاء ، إذ توقف عند حدود الأحقية والأولوية في السيادة والحكم .

وكان إظهار الولاء لبني أمية ظاهرة أخرى من ظواهر المديح السياسي ، وكان ذلك على مدار الحكم الأموي في الأندلس عند تولي الأمراء والخلفاء أمر الناس إذ استغل الشعراء هذه المناسبات لإعلان البيعة ، معددين صفات الأمير أو الخليفة ، مظهرين الشكر لله ، ومن ذلك قول الشاعر طاهر بن حزم[2] مهنئاً الأمير محمد بالإمارة والبيعة له :

---

(١) ابن حيان - المقتبس ، ص ٢٢،٢٣.

(٢) مولى لبني اميه من أهل طرطوشة ، كان بصيراً بالنحو والشعر والعروض ، وكان يؤدب بني هاشم وبني حديد ، توفي في بعض المعارك سنة (٢٨٥هـ ) ( انظر الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٣٠).

إمـــامٌ رَآهُ اللهُ أولَىَ يـــــــدينـــهِ وَمُلْكِ أبيه فاصْطَفَاهُ وَأكْـــرمَـــا
أتَتْهُ ولَمْ يُرسِلْ إليهـــا تطوُّعـــاً وما بَايَعَتْهُ أنفسٌ الخَلْقِ رُغْـــمَا
فشـــكراً لِمَنْ ولَّى الأميرَ مُحَمداً فَمَنَّ بِهِ مَنّاً عَلَيْنَا وأنـــعْمَـــا[1]

ونلاحـــظ فـــي هـــذه الأبـــيات مـــبادئ الحكـــم في المبايعة وهي كما يلي الاختـــيار فـــي المـــبالغة ( حـــرية الـــناس فـــي المبايعة عن رضي ) ، الوالي أو الأمـــير لـــم يطلـــب الإمـــارة ، تولـــي الأمير من منن الله ونعمه ، صفات السيادة والريادة ، وهي العدالة .

فالشـــاعر يشـــيد بممدوحـــه حـــتى أن الله حملـــه مســـؤولية الديـــن بتوليه الإمـــارة إذ جعلـــه مـــن اصـــفيائه ، ويصـــف ممدوحة بالمقدرة على القيام بأعباء الخلافـــة ، وقـــد اختـــاره الـــناس وبـــايعوه طوعـــاً وحباً ولثقتهم به ، ويشكر الله الذي قدرّ تولية هذا الأمير الخلوق .

ومـــؤمـــن بـــن ســـعيـــد مـــن الشـــعراء الذين توافدوا على الأمير محمد ليهنـــئوه بالإمـــــارة ويوضـــــح فـــيها الأســـس التـــي قام عليها اختيار ممدوحه أمـــيراً ، فقـــد اختـــارته قـــريش اختياراً ، لأنه رجلٌ دين قادر على حماية دين الله والذود عن رسالة الإسلام وهو مؤيد بنصر الله ، حيث يقول :

لقَدْ قامَ بالمُلْكِ الإمامُ مُحَمَّدٌ وقالَ لِمَنْ رَجىَّ القيامَ بـــهِ : اقْعُدِ
رَائْهُ قريشٌ خَيرَهَا وأحَقهَا لِعَهْدِ رَسُولِ الله ذي النّـــورِ أحْمدِ
ابى اللهُ إلاّ أن يُؤيِّد ملكـــهُ على رَغْـــمِ أعَـــدَاءِ شُناةٍ وَحُسَّدِ[2]

وقـــــد شـــارك عـــبـــاس بـــن فرناس في تقـــديم التهنئة للأمير محمد بن عـــبد الرحمـــن ، عـــندما تولـــى منصب الإمارة ، إذ قدم بين يديه قصيدة ، بدأها بـــرثاء الوالـــد ومـــدح الولـــد ، فالاشـــراق والغـــياب ، والشمس والقمر ، كلمات صـــاغ مـــنها الشـــاعر لوحـــة تشـــبه تعاقب الليل والنهار وهذا إشارة إلى السابق واللاحق وتعاقبهما المباشر .

---

(١) ابن حيان – المقتبس ، ص١٢٦.
(٢) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٢٢ .

وخلـــع علـيه لقـب المهـــدي ، وهو أمام منتظر على حالةمن الترقب ، يشـيع العـدل بعـد الفســـاد ، والأمن بعـد الخوف وأبدى الشاعر استشرافاً لجود وكرم الخليفة ، يقول :

ما غابتِ الشمسُ حتَّى أشْـرَقَ القمَرُ ... محمـدٌ فارتضـاه الله والبَشَرُ
يا ليلة أسفرت قبل الصباح عن الـ ... مَهْدِيِّ يفديكِ مِنِّي السَّمْعُ والبَصَرُ
لتُطبّقنَّ على الدّنيـــا خـلافـتـه ... سماءَ جودٍ لها ماء اللّهى مَطَرُ[1]

وحيـن بويـع الخلـيفة عـبد الرحمـن الناصر لدين الله بالخلافة ، انبرى الشعراء مهنئين ومباركين بالبيعة له ، يقول أحمد بن عبد ربه :

بَدَا الهلالُ جَـديداً ... والملكُ غضٌّ جـديـدُ
يا نعمة اللهِ زيـدي ... ما كانَ فيك مـزيـدُ
يومَ الخميس تَبدَّى ... لنا الهـلالُ السّعـيدُ
فكلُّ يوم خَـميس ... يكونُ للنّاس عيـدُ [2]

وبعـــد أن توفـي الخلـيفـة الناصـر ، سـعت الخلافـة شـوقاً إلـى الحكـم المستنصـر ، كمـا يقـول الحاجـب المصـحفي ، فـــهو أهلٌ لها وهي أهل له تولاهـا فـي حـدود تمامـه وطـول خبرته ، أثناء حكم والده الناصـر لدين الله ونلحظ منها تمكن حب الخليفة في نفوس الرعية وتغلغله فيها :

إمـــامٌ تلقّتْـة الخلافـةُ صبيَّـةً ... إلى نَسَمٍ محمولة عن إمامِها
فصارتْ إليه في حُدودِ تمامِـه ... وصارَ إليها في حدودِ تَمامِها
فلم ينتَقِلْ بالنّاس يومَ انتقالهَـــا ... إليه سبيلٌ عن محلٍ قوامهـا
أتَوْهُ فأعطوهُ المواثقَ عن هوًى ... تَمكّن في إبشارها وعظامها[3]

---

(١) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٢٤ .
(٢) ابن الأبار – الحلة السيراء ،ج١ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥
(٣) ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٧٨.
(٤) ابن الأبار – الحلة السيراء ، ج١، ص ٢٥٤ ،٢٥٥.

ولاسماعيل بن بدر في بيعة حكم المستنصر بعد وفاة أبيه الناصر قوله :

لئنْ غربت شَمْسٌ لقد طلعت شمسُ  فما في صلاح الأرض رَيْبٌ ولا لبْسُ
بمستنصرٍ بالله دان لِمُلكِهِ  وأيامِه الميمونة الجنُّ والإنْسُ[1][1]

ومن الشعراء من قدم التهنئة بالنصر لممدوحه كما قدم له التهنئة بتوليه منصب الخلافة وقد مثّل ابن دراج [2] هذا الاتجاه ، فجمع في قصيدته التي مدح فيها سليمان المستعين بالله [3] بين التهنئة بالانتصار والتهنئة بالخلافة :

هَنيئاً لهذا الدّهر روحٌ وَرَيْحانُ  وللدِّين والدُّنيا أمانٌ وَإيمانُ
بأنَّ قعيدَ الشّرْكِ قدْ ثَلّ عرشُهُ  وأنّ أميرَ المؤمنين سليمانُ
سَمِيُّ الذي انقادَ الأنامُ لامرِهِ  فلم يَعْصِهِ في الأرض إنسٌ ولا جانُ
وأنقذ دينَ الله من قبضةِ العِدى  وقد قادَه للشّرْكِ ذُلٌّ واذعانُ
وَجدَّدَ للإسلام ثوبَ خِلافةٍ  عليها مِنَ الرّحمن نورٌ وَبُرْهانُ[4]٦

فالممدوح نصر لدين الله ، وبنصره وخلافته قد ذلّ عرش الظلم وانتشر نور الإسلام .

وبذلك نجد من خلال حديثنا عن موقف الشعر الأندلسي من الثورات الداخلية ، والحروب الخارجية ، كيف أن الشعراء اهتموا بالمديح أثناء التغني بالنصر ، والتهنئة بالفتوح ، ووصف المعارك وتقديم البيعة وإظهار الولاء.

---

(1) ابن الأبار – الحلة السيراء ، ج١ ، ص ٢٥٤ ،٢٥٥ .

(٢) هو أحمد بن دراج القسطلي شاعر الأندلس أيام العامريين ، ادرك الفتنة وصلى نارها ، وأخذ ينتقل مادحاً حتى استقر به الطواف في سرقسطة وفيها توفي سنة ( ٤٢١هـ ) . (جذوة المقتبس)

(٣) [3]هو سليمان بن حكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر الملقب بالمستعين ولد سنة ( ٣٤٨هـ ) وهو الثائر على محمد بن هشام بن عبدالجبار المهدي في شوال سنة ٣٩٩هـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٨٣.

(٤) ابن عذاري . البيان المغرب ، ج٣ ، ص٨٣ .

## ثانياً : الاتجاه المذهبي :

أخذ المديح المذهبي في الأندلس طابعا يختلف عن نظيره في المشرق ؛ فلم تكن المذهبية على أشدها كما كانت بين العلويين والأمويين والخوارج والزبيريين في العهد الأموي ، وبين أكثر العباسيين في عصر بني العباس .

لقد كانت المبادئ الشيعية قليلة الانتشار في الشعر الأندلسي في مراحله الأولى ، وذلك لأن الأمويين بصورة عامة وعبد الرحمن الداخل بصورة خاصة ، صرفوا جهودا جبارة في القضاء على كل دعوة هاشمية ، سواءٌ كانت عباسية او علوية ، " فقد استطاع الأمويون طوال خلافتهم أنْ يقاوموا الدعوة الشيعية ويحملوا شعبهم على كراهية التشيع ، ويصبغوا الأندلس بالطابع الأموي ... على أنّ هذا لم يحل دون تسرب بعض الثقافة الشيعية إبان فترة الخلافة،من خلال رحلة الأندلسيين إلى المشرق وإلمامهم بكثير من أفكار الشيعة ومبادئهم ، وكذلك من خلال الدعاة المشارقة الذين قدموا إلى الأندلس بقصد الدعاية الشيعية "[1].

---

(١) عمود مكي- التشيع في الأندلس ، ص ٩٢، ١٤٩ .

وبمكن تفسير المعاني الشيعية في شعر المديح الأندلسي للأمويين بتقليد الأندلسيين للمشارقة ، ونحن نعلم أنّ الأندلسيين كانوا مولعين بتقليد الاتجاهات الفكرية والفنية والأدبية عند المشارقة وأن ماديحّ الأمويين في المشرق قد خلعوا عليهم كثيراً من صفات الأئمة التي كان شعراء الشيعة يصفون بها أئمتهم ، وذلك ليفرغوا دعوة الشيعة من محتواها ، وليبينوا للناس أن الخليفة القائم هو المهدي ، وهو الإمام المصطفى الذي سينتظره الشيعة .

وكان في بعض ديار الأندلس استجابة لهذه الدعاية الشيعية ،فقامت عدد من الثورات ذات طابع شيعيّ ، لعلّ أهمها ثورة أحمد بن معاوية بن هشام الأموي[١] ، المعروف بالقط الثائر سنة (٢٨٨ هـ ٩٠١ م ) زمن الأمير عبد الله بن محمد ( ٢٧٥ ـ ٣٠٠ هـ ) .

وفي هذا الإطار تدخل نصرة الخليفة عبد الرحمن الناصر لموسى بن أبي العافية [٢]، الذي خلع دعوة الشيعة العبيديين ، واعلن طاعته وولاءه للأمويين بالأندلس ، وكان هذا الخلع بداية لحالات من الانشقاق عن العبيديين والاقبال على الدعوة الأموية في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة بصفة خاصة ، فقد أعلن جعفر بن علي وأخوه يحيى الحرب على

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٣٨،١٣٧.

[٢] موسى بن ابي العافية المكناسي صاحب تسول وتازه ولي على فاس ، ثم استولى على تلمسان واعمالها ، وملك كثيراً من أعمال المغرب ، وقام بطرد الأدارسة فانقرضت دولتهم على يده . ( ابن حيان – المقتبس ، ص ١٣٨) .

زيري بن مناد الصنهاجي [١] عامل الفاطميين، وانتصر عليه ، وحملا رأسه هدية إلى الحكم المستنصر فاعتبر ذلك نصراً كبيراً حققه الأمويون على الشيعة ، وقد توافدت الشعراء على الخليفة الحكم المستنصر تهنئه بالنصر وتشيد بمناقبه ، ومن ذلك ما قاله الشاعر محمد بن شخيص مشيراً إلى البشرى التي اعتبرها فاتحة خير لرفع شأن الدولة الأموية من جهة ، وإيذاناً بتقويض شأن المعز لدين الله الفاطمي[٢] من جهة أخرى ، وانتقال الأمر إلى مهدي بني مروان وهو الحكم المستنصر الأموي ، فيقول :

بِأيْمَنِ إقْبالٍ وأسْعد طائرٍ تباشيرُ محتومٍ من الأمْرِ واقعِ

تَوافَتْ بِمُلْكٍ من مَعدٍّ مُقَوَّضٍ لِمَلكٍ إلى مَهْديٍّ مَرْوانَ راجِعِ

فيالَكِ مِنْ بُشْرى سُرورٍ تَضَمَّنَت بُلوغُ الأماني عن سُعودِ الطَّوالِعِ[٣]٦

وفي القصيدة يثني ابن شخيص على جعفر وأخيه مشيداً برجاحة الرأي لدى جعفر والشجاعة لدى علي إذ قتلا زيريّ الطاغية الذي يسميه فرعون الأمة الإسلامية ، على الرغم من قوة حامية المعز لدين الله الفاطمي

---

(١) زيري بن مناد الصنهاجي الحميري كان من زعماء قبيلة صنهاجة في المغرب ، وكانت هذه القبيلة عماد الدولة الفاطمية ، بينما كانت زناته موالية لبني أمية في الأندلس . فكان زيري مويداً للملوك الفاطميين وقد قتل في معركة ضد جعفر بن علي ، ( انظر ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٦ ).

(٢) معد بن اسماعيل بن ابي القاسم بن المهدي عبيد الله الفاطمي العبيدي المعروف بأبي تميم المعز لدين الله الفاطمي المتوفى سنة (٣٦٥ هـ )ولد بالمهدية وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه اسماعيل المنصور ، حكم مصر والمغرب ( أنظر ابن عذارى البيان المغرب ، ج ١، ص ٢٢١، ٢٢٣ .

(٣) ابن حيان – المقتبس ، ص ٥٤ .

، ويـرى ذلـك تحقـيقاً لمشـيئة الله ، ودلـيلاً علـى غلـبة سعد الإمام – الحكم المستنصر – يقول :

فَجَعْفَرٌ يُغْني عَنْ جُنودٍ بِرَأْيِهِ ... وَيَحْيى يُلاقي حاسِراً أَلفَ دارِعِ

هُما قاتَلا فِرْعونَ أُمَّةِ أَحْمَدٍ ... بِرَغْمِ مِعدٍّ والرِّماحِ الشَّـوارِعِ

وَلله سِرٌّ في إثارةِ جَعْفَرٍ ... لإهلاكِ زَيْرِي ذائـعٍ أو كَذائـعِ

نَحاهُ على سَعْدِ الإمام وحولِهِ ... ألوفُ ألوفٍ من مُطيعٍ وسامِعِ[1][1]

وقـد أعلـن حسن بن قنـون خلع الدعوة للأمويين ، وتبنى الدعوة للمعز لديـن الله الفاطمـي ، سـنة (٣٦١هـ) ، وعدّ ذلك في نظـر الأمويين انحرافاً وضلالاً ، فوجهـوا إليه الحملات لتأديبه وإعادته إلى حظيرة الولاء والتبعية ؛ وقد فـند ابن شخيص دعوى حسن بن قنون فنفاه من قريش بقوله في بني أمية بالأندلس مارآة جده الحسن في تنازله لمعاوية عن الخلافة في المشرق ، يقول :

كَيفَ يُرْجى بأنْ يُوَفي قُرَيْشاً ... حَقَّها وَهو مِنْ قُريشٍ نَقِيُّ

قَدَّمَتْهُ الطغام إن قال جَدِّي ... حسنٌي وليتـه حسنيُّ

فيرى في أمتـهِ مـا رآهُ ... حَسَنُ الفاضلُ التقُّي الرَضِيُ[2]

فالنفـي كالـدعـي فـي نظـر ابـن شـخيص ، وحسن بن قنون نتاج تقدمـه أراذل الـناس وأوغـادهـم غـرروا به ،حتى ادعى ابن قنون أنه من نسـل الحسـن رضـي الله عـنه ، وهـيهات أن ينتسب إلى التقى والفضل ، فقد كـان الحسـن ذا بصـيرة حيـن رأى التنازل لبني أمية . ولو كان حسن بن قنون من هذا النسل لفعل فعله .

---

(١) ابن حيان – المقتبس ، ص ٥٤ .

(٢) ابن حيان – المقتبس ، ص٥٨ .

وقد نجحت تلك الحملات والانتصارات بإخضاع ابن قنون ، وإعلان الطاعة للخليفة الأموي الحكم المستنصر ، وقد استغل الشعراء هذه المناسبة لمدح الخليفة فالشاعر محمد بن شخيص يصور ضيق ابن قنون بمطاردة الخليفة له ، ويأسه من الخلاص والنجاة ويعتبره خائناً مخذولاً ويكشف عن كمال خلق الخليفة الذي حقن دم ابن قنون بعد أن أعلن الطاعة ، في الوقت الذي كان فيه يطمع أن يسفك دمه ، يقول :

ولَمَّا رَأى الخائنُ المَخْذولُ ما كشفتْ ... لِعَيْنِهِ من دواعي حينه العُقَبُ

وأنَّ غَزْوَ أميرِ اللهِ لاحقَهُ ... من ليسَ تَلحَقُهُ خَيلٌ ولا نُجُبُ

رَجَا الفرارُ فانباهُ الرجاءُ لهُ ... أنَّ القضاءَ لهُ منْ حَولهِ رُقَبُ

إعْطاؤُهُ الحكمُ مولانا وقى دَمَهُ ... وكُنتُ أطمعُ أن يُشفى بهِ الكَلَبُ(١)

ونلاحظ قدرة الخليفة على الأحكام والسيطرة ، والقضاء يعين الخليفة.

ويتابع ابن شخيص الثناء على الخليفة بسداد رأيه الذي يقوم مقام الجيوش في الحرب بل يفوقها :

رَأيٌ إذا وَرَدَ القوادُ قامَ لهم ... في الحربِ ما لا يقومُ الجَحْفَلُ اللَّجَبُ

والشاعر طاهر بن محمد البغدادي المعروف بالمهند (٢) يمدح الخليفة الحكم المستنصر الذي تغلب على عدوه ، مظهراً صفة الخلق الكريم العفو عند الاقتدار، إذ المعالي تتميز بالرفعة مبرزاً تفوق جيشه وإحسانه إلى ابن قنون وصحبه على الرغم من إساءتهم يقول :

مضى جُندُهُ نحوَها غازياً ... فجازَ الملوكَ وأقيالَها

وقَتَّلَ آسادُهُ أُسْدَها ... وأشبالُهُ الغُلبُ أشبالَها

---

(١) ابن حيان - المقتبس ، ص ١٥٩ .

(٢)هو أبو العباس طاهر بن محمد البغدادي ( ت ٣٩٠هـ ) وفد من بغداد على الأندلس سنة (٣٤٠هـ) بعد وفود القالي ذكرت له رسائل في الزهد . انظر ابن حيان المقتبس ، ص ٣١.

وأوردَها دارَهُ خُضَّعـًا ثُقِرُّ وتُظهرُ إجلالهـا

وعفى الاساءاتِ إحسانُهُ وغطّتْ معاليهِ أفعالها[١]

لقد ارتبط التشيع في الأندلس بالزيغ والبغي والكفر ، وهي صفات تظهر مدى التشدد الذي قابل به الأمويون من تبنى هذا المذهب ، ولذلك ندرك الرؤية الدينية التي يهجو بها ابن شخيص حسن بن قنون فهم في نظره أخلاط من الناس يدعون النسب في قريش ، ويرميهم بعمى البصائر ، وينفي انتسابهم إلى قريش وإلى الحسنيين بقوله :

أشابَّةٌ تدَّعي في هاشم نَسَبـًا وما يصحّ لها في مَعْشر نسبُ

عُمْيُ البصائر لمْ يُسلِسْ معاطِفَها إلى مساعي التُّقى دينٌ ولا حسبُ

ولوْ غدتْ منْ قريش في ذوائبِها لأوجبتْ نقبَها الأحداثُ والرِّيبُ

إذا غدا حسنٌ في الآل من حسنٍ رأسا فيا ليت شعري أيماً الذنبُ[٢]

بذلك كان شعر المديح المذهبي مختصا بالنصر على الشيعة ومن ادَّعاها نسبا في الأندلس ، وقد اختلط المدح بالتهنئة بالنصر ، وبتفنيد حجم الخصم ونفيه من النسب إلى قريش والدين ، فضلا عن هجاء ليس مفحشا ، لكنه مؤلم .

---

(١) ابن حيان القرطبي - المقتبس ، ص ١٥٩ .

(٢) ابن حيان - المقتبس ، ص١٥٩ ، ١٦٠ .

## الإمامة والقرشية وعلاقتهما بالخلافة :

يجد الباحث أنّ فكرة الإمامة قد راجت على ألسن الشعراء منذ وقت مبكر ، ولكنها اتخذت أبعاداً خاصة في عهد الأمير عبدالله (٢٧٥هـ - ٣٠٠هـ) ، حيث اغتنم شعراؤه ردة ابن حفصون فأخذوا ينعتونه بالإمام.

ويمكن القول إن فكرة الإمامة كانت أكثر رواجاً في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، في حين كانت فكرة الخلافة أكثر رواجاً في القرن الرابع ، يعزز ذلك ما نجده عند الشاعر مؤمن بن سعيد [١] الذي يضفي صفة الإمامة على الأمير عبد الرحمن الأوسط في رثائه له ، وعلى خلفه الأمير محمد في تهنئته له ، بقوله :

تَهَلَّل بطنُ الأرض لَمَّا ثوى بهِ ... إِمَامُ الهُدى مُسْتُودَعاً بَطْنَ مُلْحُدِ

لقدْ قامَ بالمُلكِ الإمامُ مُحَمَّدٌ ... وقالَ لِمَنْ رَجَّى القيامَ بِهِ:اقْعُدِ[٢]

وعثمان بن المثنى[٣] مدح الأمير محمد فوصفه بالإمام ، إذ يشرق البدر عن وجهه اشراقاً وسيماء تقوي ، ويتدفق البحر في يديه خيراً وعطاءً ، يقول :

غدَا في أسَارِيرِ الإمام مُحَمَّدٍ ... إمامِ الهُدَى بَدْرٌ وفي كَفِّهِ بَحْرُ[٤]

---

[١] هو أبو مروان مؤمن بن سعيد ( ت ٢٦٧ هـ ) شاعر قرطبي ، علا نجمه في أيام الأمير محمد ، واختص بمدح مسلمة بن الأمير محمد وكان كثير التندر والتهكم مكثراً من الهجاء / انظر الكتاني ، التشبيهات ، ص ٣١٣.

[٢] ابن حيان - المقتبس ، ص ١٢٢.

[٣] عثمان بن المثنى القبسي القرطبي ، من علماء اللغة والتحويد في الشعر ، يسميه ابن حيان شيخ الشعراء في عهده ، رحل إلى المشرق ، ولقي أبا تمام وأخذ عنه شعره وادخله الأندلس ، وكان شجاعاً مكثراً للغزو في الثغور ، توفي سنة (٢٧٣هـ ) ( أنظر الزبيدي طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٨٨ ) .

[٤] ابن حيان - المقتبس ، ص ٢٧٤ .

أما فكرة الخلافة فمن امثلتها ما ورد في مدح عباس بن فرناس ( ت ٢٧٤هـ ) [١] الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ناعتاً إياه بابن الخلائف ، على الرغم من أنّ هذا اللّقب عرف في بداية القرن الرابع الهجري في الأندلس ، يقول :

يا ابْنَ الخلائِفِ يا مُحَمدُ يا مَنْ سَيْفُهُ في رَاحةِ النَّصر [٢]

فلا مناص من القول إنه يقصد بالخلائف الأمويين في المشرق ، فهو من نسلهم ، ومرتبط بهم .

ولربما كان السبب أنّ هذه الإمارة ، إنّما هي امتداد للخلافة الأموية التي كانت في الماضي قائمة في المشرق ، وللأمويين حق في إرث هذه الخلافة ، وهذه الصفة استمرت بها مخاطبة الشعراء للأمراء الأمويين إلى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي يخاطبه الشاعر ابن الجزر [٣] بقوله :

يا ابْن الخلائِفِ أنْتَ الغَيْثُ مُنْسكِبا واللّيثُ في مُلْتَظَى الحَرْبِ الهزْبَرِيُّ [٤]

والأمويون في الأندلس ، كانوا يرون أنهّم اصحاب الحق الشرعيّ ، وأنّ قيام دولتهم في الأندلس هو بعث واستمرار لدولتهم التي أطاح بها العباسيون في المشرق ، ولعلّ ذلك ما يسوغ توسعهم في استعمال مثل هذه الصفات ، إذ رأوا في إمامهم إمام المسلمين جميعاً ؛ يُعَزّ الدين أو يذل المشركون ، نبَّه على ذلك عبدالله بن بكر ( المنبَّر بالنذل ) [٥] في مدح الأمير محمد :

يا إمامَ المُسْلِمينا وَعِمادَ العَالَمِينَا [٦]

والذي عَزَّبةِ الدِّيـ ـنُ وَذَلَّ المُشْركُونَا

---

[١] عباس بن فرناس – أبو القاسم ، شاعر أديب مشهور ، كان في أيام الأمير محمد ابن عبد الرحمن . أنظر الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٣٠٠.

[٢] ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٠٦.

[٣] ابن الجرز هو عمر بن عثمان بن محمد ، كان من أهل البلاغة والشعر ، له حظ من اللغة والنحو ، وله مدائح وأخبار مع الناصر والحكم المستنصر ( انظر الزبيدي طبقات النحويين واللغويين ص ٣٠١ .

[٤] أبو بكر الزبيدي – طبقات النحويين واللغويين ، ص ٣٠٠.

[٥] هو أبو محمد عبدالله بن بكر بن سابق الكلاعي أو البكري ، المعروف بالنذل ، وكان مؤدباً بالنحو عالماً باللسان مبرزاً في الشعر أديباً بليغاً ، تولى في امارة الأمير محمد ( أنظر ابن سعيد ، المغرب في حلى أهل المغرب ، ج١ ، ص ١١٣).

(٦) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٢٧ .

وإذا كانت الخلافة في مدح الشعراء ومدائحهم تفتقر في هذه الفترة ( القرن الثالث )إلى الحق والشرعية والواقع ، فإنّ الخلافة اسماً ومُسَمًّى ، حقيقةً وواقعاً ، شرعاً وعدلاً ، جاءت زمن الخليفة الناصر لدين الله ، حين تغلّب على حركة ابن حفصون ( ت ٣٠٥هـ ) وقوي شأنه ، وضعفت الخلافة العباسية في المشرق كما سُبقت الإشارة إلى ذلك .

وتجدر الإشارة إلى أنّ الخلافة والإمامة مصطلحان ظلاً متداولين متبادلين في مدح الشعراء وقد يخلعان على الممدوح في قصيدة واحدة وفي آن واحد بما يدل على تساوي الدلالة فيهما .

على أن فكرة الإمامة هذه هي أساس النظرية الشيعية ولو قارنا بين نظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية الإسماعيلية ، وما نجده من نصوص شعرية أندلسية حول الإمامة الأموية ، نجد أنّ الامامة الأموية تبدأ بعثمان بن عفان – رضي الله عنه – بدلاً من علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ، وتسلسل بعد ذلك في معاوية بن أبي سفيان والأمراء الأمويين إلى عهد الخليفة الناصر لدين الله ، بدلاً من تسلسلها في الأئمة الشيعية الإسماعيلية حتى عبيد الله الشيعيّ .

وتتفق النظريتان في بعض المبادئ كالقول بالإمامة و بالنص والرجعة والشفاعة ، فضلاً عن بعض الأفكار التي استغلها الشعراء لخدمة

السياسة الأموية في الأندلس ، وهي وإن لم تصل إلى العمق الذي نجده عند الشيعة ، " فقد استطاع الأمويون طوال خلافتهم أن يقاوموا الدعوة الشيعية ، ويحملوا شعبهم على كراهية التشيع ، ويصبغوا الأندلس بالطابع الأموي " (١) .

ونستشف بعض الملامح الشيعية في مديح ابن عبد ربه للخليفة الناصر لدين الله ، إذا يشير إلى أنّ الأثر قد نصّ على خلافته ، فيقول :

وجدْتُ في الخَبرَ المأثورِ مُنصلِتاً  من الخلائِفِ خرَّاجاً وَولاَّجا

إنَّ الخِلاَفَةَ لَنْ تَرضىَ ولا رَضيتْ  حَتّى عُقِدَتْ لها في رأْسكَ التَّاجاَ(٢)

ومن المعاني المستمدة من الفكر الشيعي اعتبار الخليفة الأندلسي هو المرتجى لاستعادة الحق الضائع في المشرق ، وحكم المناطق الإسلامية في المشرق والمغرب ، والذي يدين بحبه الناس جميعاً في الشام والعراق وغيرهما ، وقد عبّر ابن الجرز عن ذلك في مدحه للخليفة الناصر لدين الله ، مشيراً إلى أنّ العباسيين لو شاهدوه لن يختلفوا في كونه (( الهادي الهاشمي)) صاحب الحقوق الجدير بها ، يقول :

والثامِنُ المُرتجىَللمَشرِقَيْنِ مَعاً  يَدينُ حُبَّكَ شَرقيٌّ وغَرَبْيٌ

---

(١) محمود علي مكي - التشيع في الأندلس ، ص ١١٨.

(٢) ابن عبد ربه - الديوان، ص ٤٥.

وَيَرْتَجيكَ شـــاميٌ يـــزيـــديٌ وَيَتْقيّكَ عِـــراقـــيٌ حُسينيّ

ولَوْ رآك بنو العباسِ ما اختلفتْ علومُهُم أنَّكَ الهَادي الهِشاميُّ

وأنَّك المُقْتضى تِلْكَ الحُقوقَ ومَا لِلمُلكِ غَيْرَكَ منصورٌ ومَهديُّ[١]

ومحمـــد بـــن شـــخـــيص يحـــرّضُ فـــي مديحـــه للـــخلـــيفة الحكـــم المستنصـــر ، بعـــد إعـــلان حســـن ابـــن قـــنون الطاعة له ، أن يتابع زحفه نحو الشـــرق ، لـــرفع الظلـــم عـــن أهلـــه فـــي مصر والشام ، بعد أن ظهرت بوادر النصر له ، وهو يتعجب من توقفه عن ذلك ، فيقول :

وَقَدْ صفا لَكَ مُلْكُ الغَرْبِ أجْمعَهُ وَدانَ مُنتزَحٌ منه ومُقتـــرِبُ

فَما تَوقُّفُ جُنْدِ النَّصر عن جهةٍ ضِيمَتْ بها أو اجْتُثّتْ بها حلبُ![٢]

ومـــن ذلـــك أيضـــاً قـــول الشاعر عبد العزيز القروي[٣] في معرض حديـــثه عـــن إخضـــاع حســـن بـــن قنون ومدح الحكـــم المستنصـــر ، ويُذَكِّر بحقوقـــه فـــي الشـــام ، وتخليصـــهـــا من الكفـــر والضَّلالـــة الذي سادهـــا في خـــلافـــة العباســـيين ، والـــتطلع إلـــى حكـــم باقي المناطق الإسلامية في المشرق والمغرب :

لقد طلعتْ بالغربِ شَمْسُ خلافةٍ أضاءَ لها في المشرقين شُروقُ

---

[١] الزبيدي – طبقات النحويين واللغويين ، ص ٣٠١.

[٢] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٦٢

[٣] عبدالعزيز القروي : لم أجد له ترجمة في كتب التراجم .

فتلْكَ الشَّامُ استشرفتْ لورُودِهَـا  وكانتْ لها قِدْماً عليــه حُقُوقُ

لِيَجْلو عَنْها ظُلمَةَ الكُفرِ بالهُـدى  إمامٌ على الدِّينِ الحَنِيفِ شفِيْـقُ [١]

وابــن شــخيص يضــفى علــى ممدوحـــه هشــام بن الحكم المستنصر بعـض الصـفات المألوفـة عـند الشـيعة ، فهـو يقول برجعة الإمام ليُقضى به الأمـــر ، ويســـود العـــالم الإســلامي ، وتنــتشــر دعوتــه فــي الحجــاز والعراق ، ويشير إلى القول بالنص ، فيقول :

هُو العَاشُر الموْجُودِ في الكُتبِ أنّهُ  يُحَمُّ بِهِ الأمرُ الذي قد تَقَربَّا

شواهِدُهُ تَبْقَى بحملِ لـوائِـــهِ  إلى بابلَ بـَعْدَ المرُوُر بيثْرباَ

مُنَى الخَلقْ أنْ يَرقيَ مَنابرقدْ اتيَ  لِداعيِهِ أنْ يَرقَىَ عَلَيهْاَ فَيَخْطُبا[٢]

ويركــز ابــن شــخيص فــي الأبيات السابقة على منزلة المنبر ، وهي في غايــة الأهمــية ، ويــبدو أنّ الأمويــن قــد اهتموا بهذه المسألة ، وهذا ما حمل الســيد بــيكر علــى القــول : " بــدا الأمويون في مسألة المنبر أكثر وفاءً لمثال الرســول صــلى الله علــيه وســلم مــن سكان المدينة ، فلقد حفظوا للمنبر معناه القديــم علــى اعتــبار أنّــه مقــر القاضي والوصي ، حيث يبقون جالسين ، بينما

---

(١) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٦٣،١٦٤ .

(٢) ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٣١ .

الآخـــون يظلـــون واقفيـــن وبعـــبارة أخـــرى إن المحافظيـــن الحقيقيـــن التلاميذ الأمناء لروح المعلم ، كانوا هذه المرّة الأمويين"[١].

كمـــا نجـــــد ابـــن شـــخيص يشـــيـــر إلـــى الشـــفاعة في الآخرة للخليفة الأمـــوي ، شـــأن الشـــيعة الإمامـــية ، ويـــتفق معهـــم في جعل طاعة الإمام من ضـــرورات الإيمـــان ، فـــيقول مادحـــاً الحكـــم المستنصر ، بمناسبة وفادة جعفر ابن علي وأخيه يحيى من العدوة معلنين الطاعة :

وما ضَاع قطعُ البرّ والبحرِّ منْهُمـــا وَمَا أَمَلٌ عِنْدَ الإمامِ بضَائِـــعِ

وأَشْفَعُ مَا يَحْظيهما الطاعةُ التي غَدتْ في غُداةِ البعْثِ إحدى الشَّوافعِ[٢]

إنّ تبنـــي الشـــعراء الأندلســـيين لفكـــرة التشـــيع الأموي ، واضفاء صفات شـــيعية علـــى الخلـــيفة لـــه غايـــة سياســـية ، إذا اســـتغلها الأمويون وسيلة في صـــراعهم ضـــد أعدائهـــم ومنافســـيهم ، بعـــد أن تشـــيع الشـــعراء في شعرهم للأمويـــن ، وإن كـــان الملاحـــظ أنّ شـــعراء الشـــيعة كانوا أكثر تداولاً للمباديء وهـــو أمـــر طبيعـــي نـــابع مـــن اخـــتلاف طبـــيعة العقيـــدة المذهبيـــة عند كلا الطرفين ، فالأندلس سنيّة ، في حين كان الفاطميون شيعة إسماعيلية .

---

(١) سحيح جميل الجبيلي ، البيت السفياني في الشعر الأموي ، ص ٢٢٥،٢٢٦ - نقلاً عن بيكر LAMMENS Calif Omayad Moawiaper. P208.

(٢) ابن حيان - المقتبس ، ص ٥٥.

# [ ٢ ]المديح الاجتماعي

## أولاً :المديح التكسبي

## ثانياً :المديح الاعتذاري

## ثالثاً : مناسبات اجتماعية

* شخصية الممدوح .

## ٢] المديح الاجتماعي :

لما كان المديح فناً من فنون الأدب العربي ، وأشدها ارتباطاً بالسياسة والحكام ، إذ إن قصيدة المديح الاجتماعي ، لا تحيا إلاّ بهذا الإرتباط ، فهي تنمو وتزدهر إذا ازداد التصاق الشاعر بطبقة الأمراء والخلفاء ، لأنّ فنّ المدح يجود ويتسع إذا لقي آذاناً صاغية ، وعطاءً وافراً ورعايةً دائمة .

فقد كان للأمراء اثرٌ واضح في ذلك ، فقد شجعوا شعر المديح ، وقرّبوا الشعراء من خلال المنادمة والمجالس الأدبية ، وأغدقوا عليهم العطايا والهبات ، لغايات شخصية وأهداف إعلامية ، يستغلها الأمراء في الإشادة بسياستهم ، وتدعيم مركزهم . وهذا ما يراه محمد مندور في سبب انتشار المديح فيقول : " إن تنظيم الدولة السياسي ، وتركيز السلطة قد نمّي المديح ، حتى كاد يسيطر على غيره من فنون الشعر ، وحتى أصبح هؤلاء الشعراء يحطّ من قدرهم ألاّ يجيدوا المديح والهجاء "[1].

---

[1] محمد مندور – النقد المنهجي عند العرب ، ص ٦٩.

هـذا مـن جهـة الممدوحيـن ودوافعهـم أمـا مـن جهة الشعراء وأسبابهم فمـتعلقة بالفقـر والحاجـة الماديـة ، والـتزلف تحقيقاً لمنافع شخصية؛ فطبيعة الحـياة الاجتماعـية ، تبـيح للشـعـراء أن يجعلـوا أشـعارهم علـى أبـواب الممدوحين ليرتزقـوا بها، فالشعراء بحاجة لنيل عطايا الممدوح وجوائزه .

ويمكـن دراسـة المديـح الاجتماعـي مـن خـلال ثلاثة محاور تستوعب اتجاهاته وأحوالة :

١] – مديح التكسب والارتزاق .

٢] – مديح الاستعطاف والاعتذار.

٣ ] – مديح التهاني الاجتماعية .

## أولاً : المديح التكسبي :

التكسب بالشعر ظاهرة فرضتها ظروف المجتمع والبيئة التي يعيش فيها الشاعر وعززتها رغبة الأمراء والحكام ، وهي ظاهرة لم يعرفها العرب حتى جاء النابغة الذبياني ، أول من عرف عنه التكسب ، " فقد كانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وإنّما يصنع أحدهم ما يصنعة فكاهة أو مكافأةً عن يد لا يستطيع أداء حقها ، إلاّ بالشكر إعظاماً لها ... حتى نشأ النابغة الذبياني ، فمدح الملوك ، وقبل الصلة على الشعر ، وخضع للنعمان بن المنذر ... فسقطت منزلتهُ ، وتكسب مالاً جسيماً ، حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة " [١].

وقد سار بعض شعراء الأندلس يقتفون أثر النابغة ومن سلك سبيلهُ من شعراء التكسب وبخاصّة من مدح الأمويين منهم ، يرتزقون بقصائدهم ويلقونها على عتبات الممدوحين . خاصة أن توجها في الأندلس كان مميزاً في هذا المجال لا نجده عند المشارقة ، إذ ذهب الحكام إلى بلورة ديوانين للشعراء ، أحدهما ديوان الزمام ، والثاني ديوان الندماء[٢] ...وهذا ما نلمحة في قول عبدالله بن بكر " المنبز بالنذل " في مديحة للأمير محمد بن عبد الرحمن :

وامتدَّ حَناكَ فما نُعْطَى ثَوابَ المادِحِينَا
لوْ حظِينا بعَتيقِ الشِّعر حينا ما بَقِينا
إنَّما نحن دَواوينُ مَساعِي الأكْرَمِينا

---

(١) ابن رشيق القيرواني – العمدة في محاسن الشعر وآدابة ونقده ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٢) أنظر التعريف بهما في تيارات النقد الأدبي في الأندلس ص٧٩ وجذوة المقتبس ص ٢٢٧ .

بـأماديحَ ستـبـقـىَ ثم يفنى القـائِلـونا
كمُجَاجِ النَّحـلُ تَحـلـو في شـفـاهِ المُنشِـدينـا
فاتَّخِـذني لك يـا مَـوْ لايَ مولى لـن يخـونا
واصْطنعني إنّ عـنـدي فوقَ شُـكِـر الشّاكرينا[1]

فالشـاعـر يقـف موقف رجاء وأمل ؛ بأن يحظى بـرعاية سيـده ، وعطايـاه . وقـد لخّـص صاحب تاريخ الفكر الأندلسي النتيجة التي آل إليهـا وضـع الشـعـراء فـي الأندلـس ، وهم يمتدحـون بشعـرهم فقال : " ومضى الشعـراء يقطعـون الأندلس طولا وعرضا ، وينتجعـون قصـور الأمـراء حيث يظفـرون بالمـأوى والصـلات ، ويحضرون مجـالس أصحـاب الأمـراء ، وتـدرج أسماؤهم في سجـلات الدواوين ، وتخلع عليهم وظائف التدريس ".[2]

ويصـور العتـبي المنفعـة المتبـادلة بينـه وبين الأمير المطرف ابن محمد ؛ فالأمـير بحاجـة للمـدح لما يستجلبه من سمعة عريضة ، والشاعر بحاجة لعطايا الأمير ، ونلحظ ذلك من استخدامه للأفعال المتجانسة ذات الضمائر الفاعلية المتناظرة والمتقابلة لألبسته وألبسني ، راح ورحت .

ألبستُهُ مِـدْحَـتي والبْسَـني ملابسا كالسّـرابِ في قِـيعِـهْ
قـدْ سـاقَ وشْيـا غدا له زهرُ عليَّ يُذكي الضحُى بمُلتمِعِـهْ
فراح للسـامعـين في مِدحـي ورُحْتُ للنأظرين في خلعـهْ[3]

ويبـدو الوقـوف على حقيقة هذا اللون من المدح في زمن الفتح وأيام عصر الولاة عسيرا ، لأنّ الباحث لا يجد أمامه إلا مقطعات صغيرة قليلة ، هي بقية مما سلم في الآثار الأندلسية المكتوبة .

---

(١) ابن حيان- المقتبس، ص١٢٨.
(٢) آنخل بالنثيا- تاريخ الفكر الأندلسي، ص٧٩.
(٣) ابن حيان- المقتبس، ص٢٠٧-٢٠٨.

فـــأبو المخشـــى ( ت ٢٠٦ هـــ ) علـــى الـــرغم من أنّه قد نال شهرة واسعة في عصره في المدح وغيره من أغراض الشعر ، إلاّ أنّ ما بين

أيديـــنا مـــن شـــعره عامـــة قلـــيل ، وهو في المديح خاصة قليل جداً ، إذ لم أعثر إلاّ علـــى إشـــارة مـــن قصـــيـــدة كانـــت طويلـــة ، كما يقول لسان الدين ابن الخطيب ، قالها في مدح الأمير عبد الرحمن الداخل ، ومنها يقول :

امتطيناها سمَانا بُـدّنـا ... فتركناهـا نِضاءً بالعَـنـا

وَذريني قدْ تجاوَزْتُ بها ... مَهْمَهاً قفراً إلى أهلِ النّدَى

قاصِداً خيرَ مُنافٍ كلهّـا ... ومنافُ خيرُ منْ فوق الثّرى[1]

فالشـــاعر يمهِّـــد لمعاناتـــه فـــي الرحـــيل إلى الممدوح ، فبعد أن كان قوياً أضـــحى هـــزيلاً ضـــعيفاً شـــأن هـــذه الدابـــة التي يركبها ، وينعطف إلى حوار زوجـــته المعاتـــب له ،ليؤكد أنّ الـــرحلة كانـــت صعبة إلى الممدوح ، معرضاً بمـــا يتناســـب مـــع ذلـــك مـــن عطايـــا بني أمية – فإذا كانت مناف أفضل الناس علـــى وجـــه الأرض فـــإن عـــبد الرحمن الداخل أفضل مناف كلها ، أي أنه خير مـــن فـــوق الـــثرى فمـــناف هـــو الجد الأخير لبني أمية المنتمي إليه عبد الرحمن الداخل – وهم أهلٌ للكرم والخير .

وأبو المخشى [2] يمدح سليمان بن عبدالرحمن الداخل فيقول :

وَغدا سُليمانُ السَّمـــــاح عليهـــمُ ... كاللّيثِ لا يَلوي على متعـــــذّرِ

أما سُليـــمانُ السَّـــماح فـــإنّـــهُ ... جَلىَّ الدجُّى وأقام مَيْلَ الأصعُرِ

وهو الّذي ورثَ النّدى أهل الندى ... وَمُحَا مغيبةَ يوم وادي الأحـــمر[3]

---

[1] لسان الدين بن الخطيب – الاحاطه في أخبار غرناطة ، ج٣ ، ص ٣٥٢.

[2] هو عاصم بن زيد بن يحيى .. بن زيد التميمي العبادي قال الضبي ( قديم الجود والصنعة ، عربي الدار والنشأة .. وهو من فحول الشعراء القدماء المتقدمين ( انظر الضبي ، بغية الملتمس ص ٤٦١.

[3] لسان الدين بن الخطيب – الاحاطة ، مجلد ٤ ، ص ٣٥٢.

ربط الشاعر بين السماحة ( الكرم ) والشجاعة ( الليث ) لأنهما من باب واحد فجعلهما متلازمين في شخص الممدوح ، فهما من طبائع الفروسية ، التي تقوم على الإقدام والإكرام وإقامة العدل ومحو الظلم .

ولم يكن شعر التكسب ، وقفاً على الشعراء ، فلما مات ابو المخشى ، كانت له ابنه اسمها حسّانة التميمية ، لجأت إلى الأمير الحكم بن هشام تمدحه ، تقول :

إنّي إليكَ أبا العاصي مُوجّعَةٌ ... أبا الحُسين سَقَتْهُ الواكفَ الدّيمُ

قدْ كُنْتُ أرتعُ في نعماهُ عِاكفةً ... فاليومَ آوي إلى نعماكَ يا حكمُ

لا شيء أخشى إذا ما كُنتَ لي كَنَفاً ... آوي إليه ولا يَعرْو ليَ العَدَمُ[1]

فالشاعرة تطلب أمناً في الطمأنينة ، وأمناً في الرزق ، وقد جمعتهما في كنف الأمير في حين أنها عبرت عن حالها عند والدها ( ارتع ) وفي ظلال هذا اللفظ يأتي الاطمأنان لازماً ، لكنه في طلبه من الأمير كان ظاهراً .

فالشاعرة بحاجة إلى العون والحماية ، وهي بعد وفاة والدها التي كانت ترتع في كنفه أصبحت اليوم ترتع في كنف الأمير ، فهي استبدلت بكنف والدها كنف الأمير ، وهي لا تخشى الفقر ( العدم ) ما دامت في كنف الأمير فلمّا وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها بإجراء راتب وكتب إلى عامله على البيره فجهزها بجهاز حسن ، غير أنّه لما مات الحكم ، نالها بعض الضّر من عامل بلدها جابر بن لبيد ، الذي لم يحرر لها أملاكها ، ولم ينفذ ما خطه الحكم لها بيده في هذا الشأن ، فجاءت إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وأنشدته قصيدة منها :

إلى ذي النّدى والمجْدِ سارتْ ركائبي ... على شَحَطٍ تَصْلى بنارِ الهواجرِ

ليجبر صدْعي إنّه خيرُ جابرٍ ... ويمنَعُني من ذي الظّلامة جابرِ

فإنيّ وأيتامي بِقَبْضةِ كَفّهِ ... كذي ريشٍ أضْحى في مخالب كاسرِ[2]

---

[1] المقري – نفح الطيب ، ج٤ ، ص ١٦٨.

[2] المقري – نفح الطيب ، ج٤ ، ص ١٦٨.

فحسانه خلعت على الأمير صفة الكرم المقترن بالمجد ، ومحقق العدل ومانع الظلم ، وجابر كسر المظلوم ، لكنها في الوقت نفسه نالت من الوالي جابر بوصفه بالظلم والعدوان .

وهذه المعاني تبرز أثر قصيدة مديح بني أمية في الحصول على الأمن وطلب تحصيل الحقوق ، وتعكس من زاوية أخرى مرارة الألم الذي يجسده الظلم ، وشعر حسانة [1] ينم عن طبيعتها النسوية ، من حيث أنوثتها ، وضعفها ، ورقتها ، وفرط إحساسها بالقهر ومعاناتها لمشاعر القلق وصراخها في طلب الغوث ، والحاحها على اللوذ بالكنف والبحث عن الرعاية .

وابن عبد ربه الذي يعدّ من أشهر شعراء مرحلة عهد الإمارة الأموية حظي بمكانة كبيرة عند الأمراء والحكام ، ففتحت له أبوابهم وانهالت عليه عطاياهم .

غير أن في مدائح ابن عبد ربه تسجيلاً للأحداث ودفاعاً عن السلطة الأموية ، وإيماناً بالأندلس قوياً ، بما يجعل التكسب وجهاً غير ظاهر للمعالم في بعض قصائده ، كقوله في مدح الأمير عبدالله مسجلاً للأحداث:

ألا تَشكرونَ اللهَ إذ قامَ فيكُمْ ... إمامُ هُدىً في المكرُماتِ عريقُ
واحكمَ حُكْمَ اللهِ بَينَ عِبادِهِ ... لِسانٌ بآياتِ الكتابِ طليقٌ
خِلافةُ عبدُاللهِ حِجٌ عن الورى ... فلا رَفثٌ في عَصرِها وفُسوقُ
امامُ هُدىً أحيَا لنا مُهْجَةً للهُدى ... وقد جَشأتْ للموتِ فهي تَفوقُ
حقيقٌ بما نالتْ يداهُ مِنَ العُلى ... وَما نالنا مِنها بِهِ فحقيقُ
تَجلّتْ دَياجي الحَيْفِ عن نورِ عدلِهِ ... كما ذرّ في جُنْحِ الظلامِ فُوْقُ[2]

---

[1] هي حسانه بنت أبي الحسين بنت الشاعر عاصم بن زيد كانت من أهل البيره وكانت وفاتها في حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ( انظر المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ص ١٦٧، ١٦٨.

[2] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ١٣٢.

فالشاعر يمدح الأمير بأنه يحكم بالعدل وفقاً لتعاليم الله واهتداءً بآياته ، وقد نال الأمجاد بما عمَّ رعيته من خير ، وهو حسن التدبير ، ينير عدله ظلام الكون .

ولما كان الهدف من القصيدة المدحية التكسب ، فقد احتلّ الكرم والشجاعة الذروة في هرم مدح ابن عبد ربه الخليفة الناصر لدين الله ، فقد ترددت أبيات كثيرة في هذا المعنى بألفاظ متنوعة ، كالجود والعطاء والغيث والندى ... الخ ومن أمثلة ذلك :

قوله :

يا مَنْ عليْه رداءُ البأس والجودِ  مِنْ جُودِ كَفّكَ يجري الماء في العودِ[1]

قوله :

طلعْتَ بَيْنَ النَّدى والبأس مبتهجاً  هذا بيمناكَ بَلْ هذا بيُسْرَاكا[2]

فكثرة أشعاره في الخليفة الناصر لدين الله ، والإشادة بكرمه ، ترجح افتراض حصول ابن عبد ربه على المقابل المادي لقاء أشعاره فيه ، ويستدل به على أثر التكسب في الشعر .

إنّ هذه النماذج وغيرها كثير ، دليل على أن الشعر الأموي في الأندلس جرى في سياق نظيره المشرقي في الإشادة بالممدوح وتركيز صفات البذل والمنح والإعطاء ، وكان بذلك نمطياً ، لا يستطيع القارئ أن يميز ممدوحاً في هذا المجال عن آخر. ومن الملاحظ أن قصيدة المدح المتكسبه لدى شعراء بني أميه تبقى نمطية الصفات ويتكرر ذكرها في القصائد على الرغم من اختلاف أسماء الممدوحين يقول المستشرق الأسباني غارسيا غومس ذلك فيقول : " وقد كان الشعراء يغرقون في المديح ، ويسرفون فيه دون مقاس أو ضابط حتى تصبح قصائدهم ، ولا

---

[1] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٧

[2] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٤٤.

صـــلة لهـــا بشـــخص قائلهـــا أو المقولة فيه ، ومن الميسور جداً جعل معظم هذه المدائح بأسماء غير من قيلت فيهم بعد تحوير طفيف " (١).

(١) غرسيه غومس - الشعر الأندلسي ، ص ١٠٤ .

## ثانياً : المديح الاعتذاري :

وجد شعر المديح الاعتذاري عند الأندلسيين شأن نظرائهم المشارقة ، إذ الظروف واحدة والبيئة متشابهة ، والأحوال الاجتماعية متناظره ، ويمكن القول إنّ عمرو بن قميئة وعبيد بن الأبرص وطرفة ابن العبد هم الأساس الذي نشأ هذا اللون من الأغراض عندهم ، خلافا لما ذهب إليه د. شوقي ضيف ،[1] فقد أخّر نشأة الاعتذارية إلى زمن النابغة الذبياني .

أما إذا ما ذهبنا نؤصل لهذا الفن بما ميّزه من مدح المعتذر إليه ، وتصوير نفسية الشاعر ، ومحاولة التبرؤ من الذنب ، ودفعه الاستعطاف وطلب العفو ؛ فإن النابغة الذبياني يعّد الأول في ذلك .

ولما كانت قصيدة المدح المتكسبة تستعطف الممدوح وتتذلل له ، وترجو نوالاً ومكسباً يحقق رغبتها وغايتها ، فإننا نَستَطيع أن نقول إن قصيدة الاستعطاف والاعتذار أيضاً لم تخرج عن ذلك ، بل إن الحاجة لمثل هذا الفعل والتوجه أشد ، فهي تتذلل للممدوح ، مستعطفة معتذرة ، ترجو عفواً وتستجدي عطفاً وتأمل رحمة وشفقة .

إن طلب العفو عن الزلة ، وإطلاق السراح من السجن ، يعد من المكاسب التي يجود بها الممدوح على مادحه ، فقد ينظر إليها من هذا الجانب أنها وجه من أوجه التكسب على تأول ، فقد مدح الغزال الأمير عبد الرحمن بن الحكم في قصيدة بسطّ فيها قضيته ، وتوسل إليه أن يجود عليه بالعطف ، ويمنحه حريته ، وقد بدأ قصيدته بمقدمة غزلية ، وغالباً ما ارتبطت المقدمة الغزلية بموضوع القصيدة من مدح أو اعتذار في بناء القصيدة العربية فالندم والأسف في المقدمة مرتبط بالتنصل من الذنب .

---

[1] انظر رأيه في كتاب العصر الجاهلي – دار المعارف بمصر – ط١ – . ص ٢١١-٢٨٦.

ومتصل بمدح الأمير بالحلم عند الغضب واحتلال المجد وعلو النسب يقول فيها :

بَعْضُ تَصابيكَ على زَيْنَبِ ... لا خَيْرَ في الصبْوة للأشْيَبِ
أبعدَ خَمسيْنَ تَقَضّيْهَا ... وافيةً تَصبُو إلى الرَّبْرَبِ
مَنْ مُبلغٌ عنّي امامَ الهُدى ... الوارثَ المجدَ أبا عَنْ أبِ
إنيّ إذا أطْنَبَ مُدَّاحُهُ ... قصَدْتُ في القول ولمْ أُطْنِبِ
لافكَّ عنيّ اللهُ إنْ لمْ تكُن ... أذكرتَنَا من عُمَرَ الطَّيِّبِ
إلي جميْل الوَجْه ذي هَيْبَةٍ ... ليْسَتْ لِحامِي الغابةِ المُغْضَبِ
لا يُمكنُ النّاظرَ منْ رؤيةٍ ... إلاّ التماحَ الخائفِ المُذْنبِ
إنْ تُردْ المَالَ فإنّي امرؤٌ ... لم أجَمعِ المالَ ولَمْ اكْسِبِ
إذا اخذتَ الحقّ منيٍّ فلا ... تَلْتمسْ الربّحَ ولا تَرْغَبِ
قد أحسنَ اللهُ إلينا معاً ... إنْ كان رأسُ المال لمْ يَذْهَبِ[1]

فبعد أن عدد صفات ممدوحه ، يحاول أن يبرز عنصرا هاما من عناصر المدحة الاستعطافية وهو التنصل من الذنب ، الذي كان سببا في إيداعه السجن ، وقد عفا الأمير عن الشاعر الغزال بعد قصيدته هذه التي ساق فيها مديحه للأمير في سياق استعطافه ، فاعطت النتيجة المرجوة .

" إن شاعر الاستعطاف والاعتذار يعيش بين تيارين ، تيار حزن تهب نسماته من خلف قضبان السجن ، فيؤجج نار اللوعة في قلبه ، وتيار تفاؤل تتنسم رياحه من نفسية الشاعر المتفائلة ، بعدل الممدوح وسعة صدره " [2] ، ولذلك يؤكد الشاعر على صفات العدل والكرم في ممدوحه ، لأنه يستجدي خلاصا لا يكونُ إلاّ من يد حاكم عادل ، فهذا الشاعر عبدالله بن الشمر القرطبي ( ت ٢٢٥هـ ) الذي بدر

---

[1] ديوان يحيى بن الحكم الغزال – محمود صالح البنداق – منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م.

[2] وهب رومية ، قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي بين الأصول والتجديد، ص ١٧٤،١٧٥ ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨١م.

منه ما أوجب سجنه "[1] من قبل الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، قال قصيدة يستعطف فيها الأمير ويمدحه ، إذ يشبهه بالربيع ، بما يحمله الربيع من انفتاح دلالي في الأريحية والامتاع ، مازجا بين كرم الأمير وسعة صدره ، لأنه كلما ربا الإيمان في القلب ربت معه السماحة وازداد الحلم وسعة الصدر ، ولم أعثر من المدحية إلا على بيتين غير أنهما دالين ، يقول :

قُلْ لِمَنْ أمْسَى بأرض الـــ غَـرْبِ للخَـلْق رَبيعـا

لا يَـضِقْ لي مِنْكَ ما قَـدْ وَسِعَ النَـاسَ جَميـعَا[2]

لم أجد غير هذين النموذجين اللذين يصدران عن منطق وعقل ؛ لأن فيهما إقرارا بالذنب ، ومحاولة التوجية إلى الحال ، ونيل رضا الممدوح . وهي سمات ظاهرة في شعر الاعتذار .

---

[1] ابن سعيد – المغرب في حلى أهل المغرب ، ج١ ، ص ١٢٦.

[2] ابن عذارى – البيان المغرب ج٢ ، ص ١٢٦.

## ثالثاً : مديح التهاني الاجتماعية :

كانت المناسبات الاجتماعية عند أهل الأندلس ، فرصة طيبة لتقديم التهاني للأمراء والخلفاء ، والإشادة بهم ، تعبيراً عن غامر الفرح ، وعظيم السعادة ، وقد وجدت هذه المناسبات طريقها إلى الشعر الأندلسي كثيراً .

ولقد أبان الشعر كيف أقام الأندلسيون مراسيم الاحتفال بالأعياد والمناسبات وفصلّ القول في الشعائر والهيئات المرافقة لها ، ومظاهر التعبير عنها ، وهذه التهاني يمكن النظر إليها من المناسبات الخاصة والعامة التالية :

١] – التهنئة بمولود .

٢] – التهنئة بالفصد.

٣] – التهنئة بالأعياد والمناسبات الدينية .

## أولاً : التهنئة بمولود :

كان من عادة أهل الأندلس أن يقدموا التهاني بمناسبة المولود ، خاصة إذا كان مولوداً للأمير أو الخليفة ، ففي سنة ٣٣٢هـ ، ولد الحكم بن الناصر لدين الله ، الذي اختاره لولاية عهده ، وكانت ولادته يوم الجمعة ، حين النداء لصلاة الجمعة . " فكان ذلك من حسن الطالع ، وجميل المصادفة ، وتقدم الناس إلى الناصر بالتهنئة "[١] ، كما يقول ابن حيان ؛ ومنهم أحمد بن عبد ربه الذي عبر عن عظيم الابتهاج بهذه المناسبة ، التي زاد من موفور سعدها أنها اتفقت والنداء لصلاة الجمعة ، فيقول مهنئاً الخليفة بهذه العطية الكريمة التي حباه الله بها ، شاكراً لله أنعمه على ذلك ، مادحاً إياه بالجود المتدفق ، إذ أنه قطر إذا أعْدِمَ القطر :

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٠١ .

هلالُ نَماهُ المَجْدُ واختارَه الفخْـرُ تلقّتْ به شمسٌ وَأنجبهُ بَـــدْر
سُلالةُ أمْـلاكٍ رَبيبُ خـلائـفٍ أكُفّهم بَحْرٌ ، ونائِلهـُـمْ غَمْـرٌ
بدا لصلاةِ الظُهر نَجْـمَ مـكارمٍ تَحُفُّ به العَليا ويَكنفهُ الفـخـرُ
هنيئاً إمامَ المسلمينَ عَـطـيـةَ حباكَ بها ربٌّ له الحمدُ والشكـرُ
فيا مَنْ كَساهُ اللهُ تـاجَ خِلافَـةٍ وَمِنْ جُـودهُ قطرٌ إذا أعْدِم القطرُ[1]

وربمـا كـان بعض الشعراء سباقاً إلى التهنئة للخليفة قبل أن يستهل المولود وهـو مـا فعله الحاجب المصحفي ، فعندما بشرّ الخليفة الحكم المستنصر باشتمال جاريته ( صبح ) على حملٍ ، كان المصحفي حاضراً ، فأنشده على البديهة :

هنيئاً للأنـام وللإمـامِ كريمٌ يستفيدُ على كِـرامِ
مُرَجّى للخلافة وهو ماء مأمولٌ لآمـالٍ عِظـامِ
أضاءَ على كريمَتِهِ ضياهُ فلم تَعْلم بِغاشِيَةِ الظّـلامِ
ولِمَ لا يُستضاءُ بجانبيْها وبين ضُلوعِها بدرُ التّمامِ[2]

## ثانياً : التهنئة بالفصد [3]:

كانـت عمليـة الفصـد مـن الأمور المستحبة عند أهل الأندلس ، للعلاج مـن كثـير مـن الأمـراض ، خاصـة تلك التي تصيب دم الإنسـان على ما كـانوا يعـتـقدون ؛ فيتمـتعون بالصـحـة والعافـية ، ويشفون بإذن الله ، مما لحـق بهـم مـن الآلام ؛ لذلـك كـان أهـل مـن افتـصـد وذوو رحمـه وأصدقاؤه يسارعون إلى تهنئته[4] ، وكان الشعراء من جملة المهنئين بهذه

---

[1] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٨٢،٨١ .

[2] ابن عذارى – البيان المغرب ، ج٢، ص ٢٣٧.

[3] الفصد من وسائل الطب القديم : استخراج شيء من الدم من جسم الإنسان ( في الربيع ) تخفيفاً والحجامة : هي امتصاص الدّم بالمحجم . (أنظر المعجم الوسيط مادة حجم ) .

[4] علي الغزيوي – أدب السياسة والحرب ، ص ٤٠ .

المناسبة ، خاصة إذا كان الفصد للأمير أو الخليفة ، قال عبيد الله بن قارلمان بن بدر[١] نديم الأمير عبد الرحمن بن الحكم في فصده :

يا ملِكا حلَّ ذُرى المَجْدِ ... وعمّ بالإنعام والرِفْدِ
طُوبى لِمَنْ أسْمَعْتَهُ دعوةً ... في يوم إجْماعِكَ لِلفَصْدِ
فظلَّ ذاك اليومَ من قصْفِهِ ... مُستَوطِنا في جنّة الخُلْدِ
وقَدْ عَداني أنْ أُرى حاضِراً ... جَدُّ متى يُحْظِ الورى يُكْدِ
فانْتَعِشِ العَثْرَةَ من عاثِرٍ ... عَدَتْ عليهِ أنحسَ من قردِ
وامْنُنْ بإصفادي عطاً لمْ يَزَلْ ... يَشْمَلُ أهلَ القُرْبِ والبُعْدِ[٢]

فهو يثني على ممدوحه ، حتى علا به ذرى المجد ، وأنّه صاحب العطايا واصل للكرم . وتصور نفسه أنحس من قرد عندما أخطأته دعوة الأمير ، فتوسل وطلب العطاء .

وأنّ الفصد للخليفة كان يجري في احتفال بهيج ، يحضره الوزراء والحاشية والمقربون ، والشعراء غالبا ما ينشدون قصائدهم ، يمدحون الخليفة ، ويمجدون فيها هذه المناسبة مشفوعة بالدعاء والبركة ، فهذا عثمان بن عبيد الله بن يحيى بن إدريس يقول في فصادٍ كان للناصر لدين الله بقصْر مدينة الزهراء ، وكان أول فصاد له بها عندما دخلها لأول مرة[٣] ، يقول :

اليومَ تَعْتَرِفُ القُصُورُ بِأَسْرِهَا ... لِهِلَالِهَا ولِشَمْسِهَا ولِبدْرِهَا
عَبِقَتْ بِهِ رَيَّا المكارِمِ والنَّدَى ... فتَأَرَّجَ الأفقُ القَصِيُّ بِنَشْرِهَا
أسَدُ الخِلافَةِ حَلَّ في أشْبالِهِ ... بِفَضَا الخِلافَةِ قاصِداً وبِخِدْرِهَا
فكَأنَّمَا انْفَجَرَ العَبِيرُ بِفَصْدِهِ ... فجَرَى عَلَى وَجْهِ البِلادِ بِعِطْرِهَا[٤]

---

(١) هو عبد الله بن قارلمان بن بدر ، كان مولى للأمير عبدالرحمن بن الحكم ومن ندمائه ، ولعلّ وفاته كانت قبل انتصاف القرن الثالث ( قبل ٨٤٦م ) ( انظر الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١١٨ ، ١١٩.

(٢) ابن الأبار – الحلة السيراء ، ج١ ، ص ١١٨ ، ١١٩.

(٣) ابن حيان – المقتبس ، ج٥ ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) ابن حيان – المقتبس ، ج٥ ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

فالشـــاعـــر يتخـــيـــل دم الفصـــد عبـــيرا عطّـــر وجـــه الـــبلاد بانفجاره وســـيلانه ، ويخـــــلع علـــى الأمـــير الشجاعة والبسالة التي استنهض لها معادلاً فـــي الأســـد وأشـــباله فضـــلاً عن عبق المكارم الذي تارّجَ الأفق بعبيره ونشره أيضا.

٥٨٢٨٦٧

## ثالثاً : التهنئة بالأعياد والمناسبات الدينية :

لقد حرص الشعراء على مواكبة المناسبات الدينية والأعياد ، خاصّة التهنئة بعيد الفطر وعيد الأضحى ، ويكفينا إيراد واحد على ذلك في عهد الخليفة المستنصر فقد جاءت قصائد التهنئة طويلة في المقتبس – وذلك في عيد الفطر سنة ( ٣٦٣هـ) ، ويطنب ابن حيان في وصف الترتيب الرسمي الذي كان يجري في مثل هذه المناسبة ، ثم يقول : " وقامت خلاله الخطباء والشعراء مرتجلين منشدين ، فأكثروا وأطالوا وأجادوا ، فكان من أحسن ما أنشد به الشعراء يومئذ قول مقدمهم طاهر بن محمد البغدادي ، المعروف بالمهند في شعر له مطول منه :

إمامٌ تَخَيرهُ رَحْمَةً ... عَلى الخَلْق أسْبَغَ إسبالَهَا
تَولّى الخلافة في عَصرها ... فأحْسنَ تقواهُ إكْمَالهَا
وكانت ديانَتُه زَيْنَها ... وأيامُه الزُّهرُ أشكالها
وما صفَةٌ حَسُنَتْ في الهدى ... مِن الذكر إلاّ وَقَدْ نَالَها
فَهَنَأهُ اللهُ أعيادَه ... وبَلّغهُ اللهُ أمْثَالَهَا[1]

ويشير الشاعر إلى فكرة الإمامة ، وأن الله اختار ممدوحه رحمة للناس ، ويضفى على الممدوح صفات التقوى والإيمان .

ثم قام بعده رسيله محمد بن شخيص منشداً شعراً له مطولاً ، يقول منه :

أتمّ شعبانُ ما أبدأ به رَجَبُ ... منْ قَبْلُ ما كانَتْ الآمالُ تُرْتَقبُ
وزادنا أن شَهْرَ الصَّوْم قابَلَنَا ... يخَيْر عيدَيْن مِنه:البَدْرُ والعِقبُ
نَصرٌ عَزيزٌ وعامٌ مخصبٌ رغدٌ ... للفطر تُدعى به أيامكَ القشبُ[2]

---

(١) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٥٧ . ١٥٦،

(٢) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٥٨.

وان مفرق مَولانا وسَيدنا أبي الوليدِ بتاج المُلكِ مُعتَصبُ

وما يؤخر عنها من يكون له مروان جَدٌّ ومهديّ الولاة أبُ[١]

فالشاعر يشير إلى شرف النسب من مروان ، ويمدح الخلفية الحكم بالهداية وأنه مستحق للملك ، ويشير إلى النصر الذي يزيد البلاد خضرة وحياة رغدة .

وقد قالَ عبدالعزيز القروي في ذكر هذا العيد وتهنئة الخليفة الحكم ، يقول منه :

فيا خَيْرَ من صلّى وَصَامَ لِرَبِّهِ وَمَنْ فَخْرُهُ فوقَ النجوم سَمُوقٌ

لِيَهْنَكَ عيدُ الفِطْرِ جذلانَ ناعِماً وَنَبْتُ المَعالي في ذُراكَ وَرِيقُ[٢]

فالشاعر يشيد بعلو قدر ممدوحه (الحكم) الذي ناله من قيامه بواجب الطاعة لربه بالصلاة والصوم ، ولذلك فليهنأ بعيد الفطر وفرحته ، وبارتفاع القدر وعو الشأن الذي سيظل مرتقيا به الى ذرى العليا بديمومة ونضارة .

ومن الملاحظ أننا عندما نقرأ هذا الشعر ، نحسّ بأن الشعراء يرصدون المناسبات الاجتماعية ويحرصون على تسجيلها ، حتى أصبح المديح سجلاً حافلاً بأحداث العصر مؤرخا لأعمال الأمراء والخلفاء ، مشيراً إلى المثل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الأمير أو الخليفة وتنتظرها رعيته وتقدره من أجلها .

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٥٨ ، ١٦٢ .

[٢] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٦٤ .

## * شخصية الممدوح الأموي :

لقد رسم شعراء بني أميه في الأندلس صورة بارزة لممدوحيهم من الوجهة النفسية والعقلية ، إذ وجدنا في الشخصية الأموية مثالاً للشخصية الإسلامية ببعديها العقلي والنفسي *.

فقد حرصَ الإسلام على تلبية حاجات النفس البشرية الروحية والماديَّة ، ومن أبرز السمات التي تتمثل في حياة المسلم ، صفة الكرم ، ويبدو أن الأمويين اعتمدوا الكرم وسيلة للتقرب إلى الناس ، وتعضيد الصلة بهم ، فضلاً على أنها معدودة في التقرب إلى الله حين تكون خالصة لله إذا إنها جزء من العقيدة الإسلامية ، وقد وردت شواهد كثيرة على ذلك عند الأمويين في المشرق .

فالمتوكل يصور ممدوحة يزيد بن معاوية ملكاً عظيماً جزل العطاء كريم المحتد ، وقد احتشد الشعراء على بابه لقضاء حاجتهم ، يقول :

أبا خالدٍ حَنَّتْ إليكَ مَطِيَّتي ... على بُعْدِ مُنْتابٍ وَهُوْلٍ جَنَانِ

تَنَاهتْ قُلوصِي بَعْد اساديَ السُّرى ... إلى مَلِكٍ جَزلِ العطاءِ هِجانِ

ترى النَّاس أفواجاً يئوبون بآبهُ ... لِبكرٌ مِنَ الحَاجَاتِ لِعولُن[1]

ويتساءل الأخطل إن كان هناك عطاء أجود من عطاء يزيد بن معاوية فهو قد يهب الأبل الخرسانية المحملة بالمجد والسؤدد ، يقول :

بأجْوَدَ سَيْباً من يَزِيدَ ، إذا غَدَتْ ... به بُخْتُهُ ، يَحْمِلْنَ مُلكاً وَسُؤْدُدا[2]

---

* البعد العقلي يتشكل عند الإنسان بناءً على مفاهيمه عن الكون والإنسان والحياة وعلى ذلك يتشكل البعد النفسي وهو الذي يصدر نتيجة لتصوير أعماق الشخصية ( انظر مصطفى عليان ، كتاب بناء الشخصية في القصة القرآنية ، ص ٩٠، ١٩١

[1] المتوكل بن عبدالله الليثي – شعر المتوكل ، ص ٢٠٤.

[2] الأخطل التغلبي – شعر الأخطل، الجزء الأول ، ص ٣٢١.

والعطاء السفياني في المشرق كان ذا منفعه سياسية ، إذا أمنّ لهم غطاءً سياسيا وستر بعض عيوبهم ، كما أنه انتزع إعجاب خصومهم السياسيين[١] .

ولقد وردت شواهد كثيرة على ألسن الشعراء تمدح الأمراء والخلفاء من بني أمية في الأندلس بفضيلة الكرم " التي هي في نظر الإسلام فضيلة كاملة "[٢] فهذه حسّانه التميمية ( ت ٢٣٠هـ ) تصور الأمير عبد الرحمن الأوسط بانه الكرم وقرين المجد ، تقول :

إلى ذي النَّدى والمَجْد سارَتْ ركائِبي

على شَحَطٍ تَصلّى بَنار الهَواجِر [٣]

فهي كنتّ عن الأمير " بذي الندى والمجد " وقرنت الكرم بالمجد لما يوفرانه للأمير من رفعة وعلو .

---

[١] سميع جميل الجبيلي ، البيت السفياني في الشعر الأموي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ص ٢٠٥.

[٢] محمد الغزالي – خلق المسلم ، ص ١١٥ ، ط٦ ، دار القلم ، دمشق ، ص ١١٥.

[٣] المقري – نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ١٦٨.

والعـــدل فضـــيلة عظـــيمـــة لازمـــــه للحكـــم ، يسعى الحكام للاتصاف بهـــا ، والتحلـــي بشـــرفها باجتـــناب الظلم والجور واتباع الرفق واللين في تيسير أمـــور الرعـــية ، وهـــذا مـــا عهـــده عثمان بن المثنى القيسي في ممدوحه الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط يقول :

وَأَوْسَعَهم عَدْلاً وَرِفْقَ سياسةٍ فَطَابَتْ به عَنْهُ الأحاديثُ والذكرُ[١]

ومـــن شـــأن العـــدل أن يحقـــق الأشـــفاق والـــرحمة فـــي معاملـــة الخلق والرعـــية ، وهـــو مـــا كـــان يتمـــتع به الخليفة الناصر لدين الله وهو ما أشار إليه ابن عبد ربه في قوله :

إمـــامُ عَـــدْلٍ على رَعِيَّتِه أُشْفَـــقُ من والِدٍ على وَلَدِهْ

أحيْى لنا العَدْلَ بَعْدِ مَيْتَتِهِ وَرَدَّ رُوُحَ الحياةِ في جَسَدَهْ[٢]

ونلحـــظ هـــنا التـــشـــابه بيـــن صـــورة الأمـــوي المشـــرقي والمغربـــي ففـــي المشـــرق وصـــف الشـــعـــراء ممدوحـــيهم الأمويين بـــالعـــدل ومـــن ذلـــك مـــا مـــدح بـــه حارثـــة بـــن بـــدر معـــاويـــة بـــن أبـــي سفيان بأنه أمام عـــدل واســـتقامة وحـــزم وأن نصـــره يأتـــيه مـــن الله لكونـــه يقـــيم حـــدود الله يقول :

فأنتَ إمامُ مَعدِلَةٍ وَقصدٍ وَحَزْمٍ حين تحضرُكَ الأمُورُ[٣]

وفكـــرة الإصلاح التي يقوم بها الحكام في صالح الرعية هي فكرة عقلية عن الإنســـان ، فحين أسقط الأمير محمد بن عبد الرحمن عن أهل قرطبة ثلث عشورهم في بعض سنوات القحط تعتبر فكرة عقلية تستند إلى قاعدة عقدية من تجاوز الحدود والقـــيود رأفـــة بالناس ، وقد اعتبر ذلك من مفاخرة ، واغتنم الشعراء هذا الحدث الإيجابي فمدحوه ، ومنهم الشاعر عثمان بن المثنى ، والذي مدحه بأبيات معبراً عن ذلك بلسان الرعية الذين دخلت المسرة قلوبهم بتخفيف الضرائب عنهم فقال :

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٢٠.

[٢] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٤٧.

[٣] الطبري – تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٢٦.

تَلافى رَعاياهُ بإسقاط ثُلثِ ما عليهـــم بما استَوْفىَ قبلهُ العُسْـــرُ
وَأوْسَعُهم عَدْلاً وَرِفقَ سياسَةٍ فطابت به عنه الأحاديثُ والذكـــرُ
فلوْ مَلَكَ الله الرَّعيَّة عُمْرَهَـــا لكانَ لهُ من ذِلِكَ العُمُر الشَّطرُ[1]

ومن هذا كله نجد أن صورة الأموي في الأندلس لم تختلف عن نظيرتها الأخرى في المشرق ، وأنها تقليدية الرؤية ، إذ ان المعاني التي دارت عليها المدحة الأموية في الأندلس هي المعاني نفسها التي قامت عليها المدحة الأموية في المشرق حيث جمعت كلّ منهما للممدوح صفات الكرم والعدل والشجاعة ، وكلها فيها منازع إسلامية عميقة .

---

(١) ابن حيان- المقتبس، ص٢٧٤.

## الفصل الثاني : البناء الفني

١ ] بناء القصيدة .

٢ ] المعجم الشعري .

٣ ] ايقاعية الشعر.

٤] الصورة الشعرية

# بنـــــاء

# القصيـــدة

## [ ١ ] بنـاء القصيـدة :

يرتـبط بـنـاء القصـيدة فـي الشعر العربي بتقاليد فنية معينة ، استقرت ملامحهـا ورسـومهـا مـنذ العصـر الجاهلـي ، وتوارثهـا الشعراء على مرّ العصـور ، وسـعوا إلـى تحقـيقها في أشعارهم ،حتى أصبحت هذه التقاليد الفنية إطـاراً جمالـيا يحـرص علـيه الشعراء أنفسهم ، وقد تمخض عنه فيما بعد شكل القصيدة التقليدية بأصولها وقواعدها .

وقـد أكـد شـوقي ضـيف هـذه الحقـيقة فقـال :" وكأنما العصر الجاهلـي نفسـه هـو الـذي أعـدّ للقصيدة التقليـدية عند العرب ، قصيدة المـدح والهجـاء ، فـإن الشـعراء كانوا يحرصون في كثير من مطـولاتهم منذ العصـر الجاهلـي علـى أسـلوب مـوروث فيها ... واستقـرت تلك الطريقة التقلـيدية فـي الشـعر العربـي ، وثبتـت أصولها في مطولاته الكبرى على مرّ العصور " (١).

وحيـن ظهـرت نمـاذج الشـعر الأندلسـي الذي حمل صورة للبيئة ، لم يكـن لـيخرج فـي إطـاره العـام عمـا كان عليه الشعر في المشرق ، بوصفه جـزءاً لا يـتجزأ مـنه ، إلا مـن حيـث أثـر البيـئة وأسـلوبية التعبير المقيدة بخصوصية الشخصية احياناً .

ويمكـن تقسـيم الـنماذج الشـعرية التـي بين إيدينا في موضوع البحث إلـى قسـمين كبيريـن مـن حيـث حجمهـا ، فبعضهـا كان مقطعـات ذات أبـيـات معـدودة ، والـبعض الآخـر قصـائد مطولـة ، ولكل نوع خصائصه الفنية الخاصة إلى جانب الخصائص المشتركة .

فالمقطعـات الأندلسـية إمـا قصـائد فـي الأصـل غير أنها لم تصلنا كاملـة ، وإمـا هـي كذلـك أنشأها أصحابها ، اكتفاءً بالأبيات القليلة ، لأنهم رأوا

---

(١) شوقي ضيف – الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ١٨ ، ط١٠.

فيها وفاءً بالحاجة ؛ وتحقيقاً للغرض الفني من التأثير والإبلاغ ، إذ إن القصار أولج في الأسماع كما قال القدماء .

أما القصائد المطولة فتمثل قدراً مهماً من الشعر الذي ندرسه ، وقد وجدنا الشعراء يتخذون القصائد المطولة اطاراً لموضوع المديح منذ الفتح ، وهكذا كانت كل من المقطعات والمطولات منذ هذه الفترة تجري جنباً إلى جنب عند معظم الشعراء ، وقد طرق بعضهم موضوع المديح مباشرة وآثر البعض الآخر التمهيد له بمقدمات أحياناً .

## أولاً : المقدمات :

لقد حظيت مقدمة القصيدة العربية بجانب من اهتمام النقاد العرب ، وانطلقت أحكامهم عليها من منظور القصيدة الجاهلية التي جعلت المدح غايتها بوجه عام ، وراحوا يستقون منها الأسس والأصول ، ثم يبنون عليها القواعد والرسوم التي يجب على الشعراء اتباعها في صنع قصائدهم ، فابن رشيق القيرواني ( ٤٥٦ هـ ) يسير على خطى ابن قتيبة ( ٢٧٦ هـ ) [١] فيرى ضرورة التمهيد بين يدي القصيدة بمقدمة ويعيب على الشعراء الذي يهجمون على أغراض القصائد فيقول : " ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب ، بل يهجم على ما يريده مكافحة ، ويتناوله مصافحة ... والقصيدة إذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء " .[٢]

---

(١) انظر رأي ابن قتيبه في الشعر والشعراء ج١ ، ص ٧٥ ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م.

(٢) ابن رشيق القيرواني – العمدة ، ج١ ، ص ٢٣١.

## المقدمة الغزلية [١]:

وهي من أكثر المقدمات شيوعاً في قصائد المديح ، لأن الغزل كان من أهم الموضوعات التي شغف بها الشاعر الأندلسي ، ووجد فيها متنفساً للتعبير عن مكنون ذاته ، وفيض مشاعره ، فقد نهج يحيى بن حكم الغزال هذا النهج في قصيدة له في مدح الأمير عبد الحمن بن الحكم ، إذ خلط بالمقدمة زجر نفسه عن التصابي ، وقد ذكر بعض مفردات الغزل قبل التخلص إلى المدح يقول :

بَعْضَ تَصابيكَ على زَينبِ ... لا خَيرَ في الصَّبوة للأشْيَبِ
أبعدَ خمسينَ تَقَضَّيتُها ... وافيةٌ تصبُو إلى الرَّبْرَبِ
فارعةُ الجسمِ هضيمُ الحشا ... كالمُهْرةِ الضامرِ لمْ تُركَبِ
أوْ دُرَّةٍ ساعَةَ استُخْرِجَتْ ... لم تُمتَهَنْ بعدُ ولمْ تُثقَبِ
مُشرَبَّةُ اللَّوْنِ مَنُوعَ الضُّحى ... صفراءُ بالآصالِ كالمذْهَبِ
مَنْ مُبلِغٌ عنيّ إمامَ الهُدى ... الوارثَ المجدَ أبا عن أبِ
إني إذا أطْنَبَ مُدّاحُهُ ... قَصَدْتُ في القولِ فلَمْ أطْنِبِ [٢]

فالشاعر يهتم بوصف مفاتن المحبوبة ، فهي طويلة فارعة الجسم هيفاء ، عذراء لم يمسها بشر بعد ، منعمة مترفة مشربة اللون عند الضحى ، وعند الآصال تبدو صفراء؛ لا لعلة ولا لمرض ، وإنّما لطول المكث في الكن ، وما كانت تستعمله من أصناف الطيب كالزعفران الذي يعطي البشرة البيضاء لوناً ضارباً إلى الصفرة .

ومن المقدمات الغزلية قول ابن عبد ربه في مدح الأمير عبد الله حين تولى الإمارة :

---

(١) لم أجد أثراً للمقدمة الطللية في شعر هذه الفترة التي وقع بين يدي .

(٢) محمود صالح البنداق - يحيى بن الحكم الغزال ، ص ١٧٦،١٧٧

أرقتُ وقلبي عنك ليس يُفيقُ ... وأسعدتَ أعدائي وأنتَ صديقُ
وصدَّ الخَيالُ الواصِلي منكَ في الكرى ... بصدّكَ عنّي ، فالفؤادُ مشُوقُ
تُعلِّمَ منكَ الهَجْرَ لما هَجَرْتَهُ ... فليس له في مُقلتيَّ طَريقُ
وتأبى عليّ الصَّبر نَفْسٌ كئيبةٌ ... وقلبٌ بأصْنافِ الهموم رفيقُ
سُهادٌ ودَمعٌ بالهمومِ توكّلا ... فذا موثِقٌ فيها وذاك طليقُ
رشا لو رآهُ البدرُ يُشْرِقُ وَجْهُهُ ... لأظلمَ وجْهُ البَدْرِ وهو شَريقُ
دقيقُ فرندِ الحُسن : أمّا وشاحَهُ ... فيَهْفو ، وأمّا حِجلُهُ فيضيقُ
يغض زمان الوصل لما تطلعتْ ... لوامعُ في رأسي لهنّ بريقُ
سلامٌ على عهد الشباب الذي مضى ... إذا العيْشُ غَضٌ والزَّمانُ أنيقُ
وإذ لِبَناتِ الخدرِ نحوي تَطلُّعٌ ... كما لمَعَتْ بين الغَمام بروقُ
عطابيلُ كالآرام أما وجوهُها ... فدُرٌ ولكنّ الخدودَ عَقيقُ
سقرنَ قِناعَ الحُسن عنها فأشرقَتْ ... مصابيحُ أبوابِ السّماء تَروقُ[1]

وبعد أن ينتهي من المقدمة الغزلية يخرج إلى المديح فيقول منه :

ولي قولةٌ في النّاس لا أبتَغي بها ... من النّاس إلاّ أن يُقالَ صديقُ
ألا تكشرونَ الله إذ قامَ فيكُمْ ... إمام هُدى في المكْرُماتِ عَريقُ[2]

ويعتبرها ابن حيان من أحسن ما امتدحه بها الشاعر ابن عبد ربه ويقول :"إنها قصيدة مفضلة "[3].

---

[1] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ١٣١، ١٣٢ .
[2] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ١٣٢ .
[3] ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٣ .

وقد طالت المقدمة الغزلية ، واستغرقت سبعة عشر بيتاً ، وعلّق ابن حيان عليها بقوله : " إنّه أطال النسيب وأرقه ، ثم خرج إلى المديح " [١] ، وأورد منه اثنى عشر بيتاً ، مما يجعل المقدمة الغزلية تربو على نصف القصيدة حسب الرواية المذكورة ، وقد خلط مع المقدمة الغزلية عناصر أخرى مثل بكاء الشباب والشيب، وزجر نفسه عن التصابي ، ونلاحظ من هذه المقدمة موقف الشاعر من هرمه ونظرته إلى شبابه ، وموقف المرأة منه إذ تقدمت به السن ، فهو متأسف على شبابه الذي ولىّ ، ثم يحدثنا عن علاقته بالمرأة مفارقاً بين يومه وأمسِهِ ، فهي تصد عنه اليوم بعد أن كانت النسوة معجبات به وكنّ على حظ وافر من الجمال ، فهن حسناوات ، ممتلئات الأجسام ، طويلات الأعناق ، وجوههن وضاءة مشرقة كأنها البدر في صفاتِها ويعلو خدودهن حمرة كحمرة العقيق .

ولابن حزم الظاهري قصيدة قالها في مدح أبي بكر هشام بن محمد ، أخي أمير المؤمنين عبد الرحمن المرتضى [٢]، وقد بدأها بمقدمة غزلية تقليدية يصف فيها حالته النفسية ، وأثر ساعة وداع الحبيب فيها ، إذ كانت تشبه ساعة الحشر ، وكيف انّه قضى ليلته التي تشبه النشر لشده البين ، ويتذكر الأيام والليالي التي قضياها معاً في غمرةٍ وتآلف ، ويشبههما بالنيلوفر في النشر وتضوع الريح ، ثم يستدرك أنها لا شك كانت أحلى الأيام إلا أنها أعقبت بالغدر يقول :

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٣ .

[٢] هشام بن محمد هو اخر خليفة أموي شهدته قرطبة ، فقد بويع بالخلافة خارج العاصمة في ٤١٨هـ ودخل قرطبة بعد ذلك بعامين وازيح عنها بعد دخوله بعامين أيضاً في ٤٢٢هـ ليموت مغموراً في الأرض ( انظر ابن حيان المقتبس ، ص ١٠٠).

أساعةُ توديعيك أمْ ساعة الحَشْر ... وليلةُ بيني منكَ أم ليلة النَّشْر
وَهْجُرك تعذيبُ الموحِّد يَنقضي ... ويُرجو التّلاقي أم عَذابُ ذوي الكُفر
سَقَى اللهُ أيّاماً مَضَتْ ولَيالِيا ... تُحاكي لنا النيلوفرَ الغضَّ في النّشر
فأوراقُهُ الأيامُ حُسْناً وبَهْجَةً ... وأوْسَطُهُ الليلُ المُقصِّرُ لِلعُمْر
لَهَوْنا بها في غَمْرةٍ وتَآلُفٍ ... تَمرُّ فلا تَدْري وتأتي فلا تَدْري
فأعقبنا منه زمانٌ كأنّهُ ... ولا شَكَّ حُسْنُ العقد أعقبَ بالغدْر
فلا يَئْأسي يا نَفْسُ علَّ زمانَنا ... يَعُودُ بوَجْهٍ مُقْبلٍ غَيْرَ مُدْبر
كما صرف الرّحمنُ مُلكَ أميّةٍ ... إليهم ولوذ فيّ بالتّجمّل والصّبر(١)..

ونجد ابن حزم يركز على البوح بما يعانيه من الفراق وتذكر الأيام السعيدة محاولاً في الوقت نفسه أن يبعث الأمل ويطلب من نفسه الا تيأس ، وأن تلوذ بالصبر ، كما صبر بنو أمية عندما صرف الله الملك عنهم ، متمنياً لزمانهم العودة بوجه مقبل غير مدبر ، وبعد هذه المحاولة في ابعاد اليأس عن نفسه وحثها على الصبر ، يخلص لشاعر إلى مدح هشام بأربعة أبيات :

أليسَ يُحيطُ الرّوحُ فينا بكل ما ... دَنَا وتَنَاءى وهو في حُجب الصّدْر
كذا الدهرُ جسمٌ وهو في الدّهر روحُه ... محيطٌ بما فيه وإنْ شئت فاستقر

" ولولا اشارته إلى أنها مدحة لما أدركنا شيئاً من هذا ، وفيها مدحه بسعة الثقافة والعلم ، وأنّه من الدّنيا كالروح من الجسد محيط بكل ما فيها .ثم بيتان آخران متصلان بأبيات حذفها الناسخ ، فاصبح معناهما غامضاً شيئاً ، ويشير فيهما إلى أنّ الآتاوات تهدي إليه وأن تقبّله لها منّه يشكر عليها ، إنها أنهار وهو بحر ، والنهر مهما غزر وطمى ينتهي به الحال إلى البحر أخيراً :

---

(١) الطاهر أحمد مكي – دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ . نقلاً عن طوق الحمامة ،

إتاوتهـــا تُهـــدىَ إليـــه ومنَّـــــة  تَقبّلُها منهم يُقابَـــلَ بالشّكـــــــــر
كذا كلُّ نَهْرٍ في البلاد وانّ طَمَتْ  غَزارتُه يَنْصبُّ في لُجَجِ البَحْـــر"[1]

[1] الطاهر أحمد مكي – دراسات عن ابن حزم وكتابه ، طوق الحمامة ، ص ٣٨، ٣٩٠. نقلاً عن طوق الحمامة .

## المقدمة الطبيعية :

وهناك نوع آخر من المقدمات التي نجدها في مستهل بعض قصائد مديح بني أمية في الأندلس ، التي تناول فيها الشعراء الطبيعة الحية ، الأزهار والربيع بصفة عامة ، ومزجوها بالحديث عن المرأة أحيانا ، وهي تعكس تأثر الشعراء بالطبيعة وإحساسهم المرهف بجمالها . ومن ذلك ميمية الرمادي (٤٠٣ هـ ) في مديح عبد العزيز بن المنذر ابن عبد الرحمن الناصر ، وهذه المقدمة تقوم على تسعة أبيات في مجيء الربيع ، وتأمل أثر فعله في الأرض ، وقد دارت معاني الشاعر حول تنعم الأرض وسقيا الثرى والاستبشار والمفاخرة والاخضرار ، واضفى الصفات الإنسانية على الطبيعة وأقام مقدمته على علاقة ضدية بين الجفاف والخصب ، وأجرى مفاخرة خيالية بين الأرض المنعمة ووصفها بالحياة ، وبين السماء ، وجعل فيها الأرض تفوقها بهاءً وجمالاً ، وهو بذلك يكنو عن الممدوح الذي يعود له الفضل في الأحياء يقول :

تأمل بأثر الغَيْمِ من زهرةِ الثَّرَى ... حياةَ عُيونٍ مُنْذُ قَبلَ التَّنَعُّمِ
كأنَّ الربيعَ الطَّلْقَ أقبل مهدياً ... بطلْعَةِ مَعْشُوقٍ إلى عينِ مُغْرمِ
تعَجَّبْتُ من غَوْصِ الحَيا في حشا الثرى ... فأقْصَى الذي فيه ولم يتكلَّمِ
كأنَّ الذي يُسقى الثرى صِرفُ قهوةٍ ... تَتمُّ عليه بالضمير المكتَّمِ
أرى حُسْنا في صفحةٍ قد تغَيَّرتْ ... كبِشرٍ بدا في الوَجْهِ بعد التَّجَهُّمِ
ألا يا سماءَ الأرضِ أعطيتِ بَهْجةً ... تطالِعُنا مِنْها بوجهٍ مُقسَّمِ
وإن قالتِ الأرضُ المنعَّمُ روضُها ... لِيَ الفضلُ في فخرى علَيكِ فسلِّمي
فخُضْرةُ ما فيها تَفوقُك خُضرةً ... ونُوارها فيها ثواقبُ أنجُمِ
وإنْ جئتها بالشمسِ والبدرِ والحَيا ... مُفاخرةً ، جاءتْ بِأسنى وأكرمِ

بعبد العزيز ابن الخلائـفِ والـذي  جميعُ المعالي تنتمي حيث يثـتمي[١]

علق أبو الوليد الحميري على هذه الأبيات بقوله : " ودخوله في هذا الموضـع إلى المدح ، ومفاخرته بين السمـاء والأرض من المعاني التي سبق اليها ، واستولى على الأمد بها "[٢]. إذا كان انتقاله إليه بالربط اللغوي المقارن .

كمـا تحـدث شعراء بني أمية عن الطبيعة الصامتة ، إذ إن وصف الطبيعة الصـامتة احـتل صـدور بعض قصائد المديح ، فقد وصف شعراء بني أميـة في الأندلـس الطبيعة الصامتة وما بذل من جهد في تجميلها وزخرفتهـا ، ثم خلصـوا بعـد الوصـف إلى الإشاده بمناقب الممدوح وأعماله ، ومن ذلك ما جاء في وصف مؤمن بن سعيد لبناء أشاده الأمير محمد بن عبد الرحمن " منية كنش " ، وفيها يقول :

مجالسُ يُرْضي العينَ إفـراطُ حُسْنهـا  كأنّ حنـاياهـا حـواجبُ خُـرَّدِ
على عمدٍ للدُّرِّ أبشـارُ بعـضـها  وأبشـارُ بعض حسنـها للزبرجـد
ولابسـةٍ وشْيا كأن دقـيقـهُ  دقيقُ الهشـاميِّ العتيـق المُنضّـدِ
وأخـرى مقاناةِ البيـاض يحُمْـرةٍ  كجْمر الغَـضى في لوْنِهِ المُتوقّـدِ
على قاعِداتٍ بعضُها فوْق مـرْمـرٍ  وبعضٌ على مسنـون صرْحٍ مُمـرَّدِ
وٍأفيـاءِ أبهاءٍ عليهـا مشـارفٌ  يكـادُ يُنـالُ النَّجْـمُ مِنْـهُنّ بالـيـدِ
على كلِّ صهْريـجٍ كأنّ جِـمـامـهُ  غـديـرُ حـيا فيـه يروحُ ويغتدى
وسامِقةٍ يجرْي السّماكان دُونـهـا  ويحْسرُ عنها الطّرفُ في رأس قرْددِ[٣]

نلاحـظ فـي هذه الأبيات استقصاء الوصف ، فلم يكد يغادر الشاعر شيئا مما تراه العين في المظهر الخارجي للبناء الا ذكره وانفعل به بصورة ، تشبيهيه فقد شبه حنايا المجالس بحواجب الغيد الحسان ، ونعت أعمدتها التي يبدو بعضها وكانه قـد

---

(١) ابن الأبار - الحلة السيراء، ج١، ص ٢١١، ٢١٢.
(٢) ابو الوليد الحميري - البديع في وصف الربيع، ص٦٠.
(٣) ابن حيان - المقتبس، ص٢٣٧.

رصـــع بالدرر لبياضه ، وبعضها الآخر كأنه قد جلل بالزبرجد وبعضها الآخر كأنه يلبس وشياً فاخراً وعمود ثالث قد اختلط فيه البياض بالحمرة ، كشجر الغضى الذي يتمـيز جمـره بشدة توقده وبلونه الذهبي ، ثم خرج إلى وصف ما أقيم على ابهائها الظلـيلة مـن مشـارف عالية تكـاد تناطح النجـوم لفرط ارتفاعها ، وتحدث عن المـاء الـذي تقذفـه الصهاريج فيجتمع على هيئة الغدران التي تتكون عقب نزول المطـر ، وبعد أن فرغ من وصف البناء يخلص الشاعر إلى مديح الأمير محمد في سبعة أبيات منها :

كأنَّ أمـيـنَ الله فيهـا مُـحَـمَّـداً ... هِـلالٌ تَـوالى لِلعُـيـونِ بِأسْـعُدِ
يُـقِـرُّ لهُ بالفِضْلِ قَصْرُ رُصَافَـةٍ ... على حُسْـنِهِ إقـرارُ عبدٍ لِسـيِّدِ
بَنـى للإمـامِ المُرْتَضَى في مَصادِهِ ... بناءً يكِلُّ الطَّرْفُ عَنْهُ وَيَهْتَـدي[1]

ثـم ينـتقـل إلـى وصـف مـا يحفّ بـه من جنات بما فيها من أنوار وورود وفاكهه ، يقول:

تُحَفُّ به جَنَّـاتُ نُزْيـا خِلالَـهـا ... مشـاربُ مـاءٍ في أنابيبِ عَسْـجَـدِ
كأنَّ طُلى إجَّاصِها حينَ يُجْتَنـى ... طُلى كُلِّ غَـيْـداءِ التَّليلِ وأغْـيَـدِ
إلى أرَجـاتٍ في بَيَاضٍ وَحُـمـرَةٍ ... ضَرائِـرَ للخـدّ النَّـقِـيِّ المُـوَرَّدِ
ورُمّانِ أغصـانٍ تَميسُ كأنَّـهـا ... ثُـدِيُّ نُمَـى أمْسَيْنَ في الرَّيْطِ نُهَّـدِ
وسَوْسَنُ آذارٍ كـأنّ جبينَـهُ ... نُحُـورُ العَـذارى في المُـلاءِ المُجَسّدِ
يُوافيكَ فيه الوَرْدُ غَضاً كأنَّـهُ ... خُـدودُ عَـذارى مُـوفيـاتٍ بمَوْعِـدِ
يَقيلُ بها المَحْـرورُ في شَهْـرِ آذارٍ ... مُوارىً بهـا من تَحْـتِ ظِـلٍّ مُمَـدَّدِ
هَنيئاً مَـريئاً للأميـرِ سُـرُورُه ... بُـبُـنْيانِـهِ العالـي المُنيـفِ المُشَيَّدِ[2]

ويجـري الشـاعـر مجرى الشعـراء المحدثين في استلهام مفاتن المرأة فـي وصف الفاكهـة والـورود والأزهار ، فرمّان هـذه المنية يتمايل في أغصان

---

[1] ابن حيان – المقتبس ،ص ٢٣٨، ٢٣٩ .

[2] ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٤١،٢٤٠.

الشـــجر كأنـــه أثـــــداء باديـــة في الريط ، ويستعير للسوسن جبينا ويشبهه بنحور العذارى ، ويشبـــه الورد في هذه الجنان بخدودهن ، ومشـــاركة الطبيعـــة لشعـــر المديـــــح ظاهـــــرة مشـــرقيـــة ، قبـــل أن تكون أندلسية ، وهي صريحة عالية الصوت ، بحيث يمكن أن تعد تقليداً فقد كثر ارتباط وصف الطبيعة الحية والصامتة فـــي ابـــتداء قصائد المديح ، وبهذا نجد أنّ قصيدة المـــدح لم تعـــد غريبة عن بيئة الأندلـــس ، بـــل تستمد من صميمها ، ومعنى هذا أن شعر المديح المتأثر بالبيئة لم يتأخر إلى القرن الرابع الهجري ولا إلى مطلع القرن الخامس أو إلى ما بعد ذلك .

## مقدمة الشكوى :

دارت هذه المقدمة حول الشكوى من الهم والألم والمرض ، وظلم الأعادي والزمان والفراق ، ومنها مقدمة لأبي المخشى يذكر فيها مأساته مع العمى ، يقول فيها :

خَضَعتْ أمُّ بَنَاتِي لِلعِدا ... إذ قضى اللهِ بأمرٍ فَمَضَى
ورَأتْ أعْمَى ضَرِيرا إنّما ... مَشْيه في الأرض لَمْسٌ بالعَصا
فبكتْ وَجدا وقالتْ قولةً ... وَهْيَ حَرَىً بلغتْ مني المدى
ففؤادي قَرحٌ مِنْ قولها ... ما مِنَ الأدْواءِ داءٌ كالعمى
وإذا نالَ العَمى ذا بَصَرٍ ... كانَ حيا مِثلَ مَيتٍ قدْ ثَوى
وكأنَّ الناعمَ المسرور لَمْ ... يَكُ مَسرُورا إذ لاقى الردّى
عادني بالغربِ وهْنًا طربٌ ... مِنْ حلولٍ بين لج بالحِمى
أبْصَرَتْ مُستبدلاً من طَرفهِ ... قائدا يَسعَى بهِ حَيْثُ سَعى
بالعصى إنْ لَمْ يقدْهُ قائدٌ ... وسُؤالُ النّاس يمشي إنْ مشى
فإذا ركبٌ دنوا كان لهُمْ ... هو جلاً في المَهْمهِ الخِرقِ الصوّى
لمْ يَزَلْ في كلّ مخشيّ الردىّ ... يصْطلي الحربَ ويجتابُ الدُّجى[1]

نلاحظ على هذه المقدمة أنها تجديدية تقليدية ، فهي تقليد به من حيث التزام موضعها في بناء القصيدة التي مهد بها للمدح ، وتجديدية من حيث مضمونها ، فهي تتناول تجربة خاصة وهي تجربة الشاعر مع العمى ، وهي بذلك تختلف عن بنية القصيدة المدحية العربية التي تبدأ بالمقدمة الطللية أو الغزلية ، ثم وصف الرحلة ، ثم التخلص إلى المديح .

فالشاعر استسلم لقضاء الله ، وقد وقف عاجزا خائفا من هذه الحالة ، ومنذ بداية القصيدة نلاحظ توحد مشاعره مع مشاعر زوجته ليدلل على مدى الضُّر الذي وقع عليهما معا ، وقد جعل الموت المعادل للعمى

---

[1] لسان الدين بن الخطيب - الإحاطة ، مجلد ٤ ، ص ٢٣٤.

والمناظر له ، ويأتي بصور من حياة الأعمي ؛ كملازمة القائد له ، وصورته مع الناس إذا لم تكن معه عصى ، فهو يظل في كل حركة يسأل الناس ، وينتقل الشاعر إلى صورته مع الركب المسافرين ، فالأعمى مع الركب أشبه ما يكون بالهوجل ( البطيء الثقيل ) الذي يعوق حركة الوصول إلى الغاية ، فيحس بالحرج والضيق ، وكأنه يمشي بين حجارة ثقيلة ، وبعد هذه الصور يعقب بتعقيب نفسي وهو أنة في كل حال يخشى الموت ويشبه حياته باصطلاء الحرب وأنه يسير في عتمه دائمة . وبعد عرض تجربته الذاتية هذه ينتقل إلى وصف الرحلة ليصل إلى الممدوح .

والذي فرض على الشاعر البدء بهذه المقدمة ( الشكوى من الحال ) ذهابه إلى مدح عبد الرحمن الداخل والد هشام الذي كان قد سَمل عينه وقطع لسانه [1] قد سلك بها مسلك المعرض بحاله دون تصريح أو تلويح بمن كان سبباً في هذه الحال .

ومن الشكوى مقدمة لأبن شهيد (٤٢٦هـ ) من ستة أبيات في شكوى الوداع والألم ، واستوحى بكاء الحمام ليقرن حالها بحاله :

بكى أسَفاً للبَيْنِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ ... وقَدْ هَوَّنَ التَّوديعُ بَعْضَ الذي لَقِي

وَما لِلَّذي ولّى بهِ البَيْنُ حَسْرةٌ ... بكيتُ ، ولَكِنْ حَسْرةٌ لِلَّذي بَقِي

وَقَدْ شاقني الوَرْقُ السَّواجِع بالضُّحى ... وَمن يَسْتَمِعْ داعي الصَّبابَةِ يَشْتَقِ

عَلى فَنَنٍ من أيكَةٍ قَد تعلقتْ ... يحَبْلِ النَّوى من قَلْبيَ المُتَعَلِّقِ

فَصَدَّقْتُها في البَيْنِ من غَيْرِ عبْرةٍ ... وكم من كثير الدَّمْعِ غير مصَدَّقِ

لعلَّ نسيمُ الريحِ تَأْتي به الصَّبا ... بِنَشْرِ الخُزَامى والبكاءِ المُعَبَّقِ* [2]

---

[1] أحمد هيكل - الأدب الأندلسي ، ص ٩٨ .

[2] ابن شهيد - الديوان ، ص ١٠٣.* قد ورد ألها قصيدة في مدح سليمان المستعين .

## مقدمـة التعزيـة :

وهـي مـن المقدمـات التـي جـاءت بمعان وأساليب جديدة ، حيث جعل شـعراء بنـي أمـية مقدمـات فـي الـرثاء والتعزية بالأمير الأموي السابق قبل الـتخلص إلـى مـدح الأمـير الجديـد ، والنماذج على ذلك كثيرة ، فحين توفي الحكـم الربضـي وقـام ابـنه عـبد الرحمن بن الحكم ليخلفه ، أنشأ القائـد عبد الكـريم ابـن عـبد الواحـد بـن مغيـث الحاجب – أبو حفص[1] -قصيدة رثى فـيها بالمقدمـة الحكـم الربضـي ثـم خلص إلى مـدح وتهنئة الأمير الجديد بالخلافة ، يقول :

كَأنَّ الزّمـانَ مُـرزّأ بخليفـةٍ  أَوْدَى فكـادَ نهارنا أن يُظلمَـا
حتَّى إذا قَعَـدَ الإمـامُ لِبيعْـةٍ  كالغيثِ شَـحَّ بوبْلِهِ ثُم انهْمَـى
للهِ آيَـةُ بيعـةٍ ما أعْـظَمَـا  وَأجَـلُّ فخـراً في الأنَـام وَأفخمَـا
أَعْطَتْ قريشٌ بُيَعْـةً مَرْضيَّـةً  لإمامِهـا الملكِ الكَريـم المُنتمَـيَ
وَبَـدَا كمثلِ البدرِ ينصدعُ الدُّجى  عَنْه ويكشفُ نـورُه ما أبْهـمَا
لله أنتَ أبو المطرفُ في الـوَغى  وَلِخائِـفٍ ولِمُعْتفٍ قـدْ أعـدِمـا[2]

تصـور الأبـيـات الفاجعـة التـي حلـت بالأندلس إذا قضى الأمير نحـبه ، فقـد كـاد نهـارهم يغدو ليلاً لشدة هول المصيبة على نفوسهم ، فكادت المـوازيـن تضـطـرب لكـن جلـوس عـبد الرحمن على أريكة العرش خليفة لأبـيه ، قـد فـرجّ مـن روعهم ونفّس كربهم فأقبل الناس على مبايعته ، فمنحته قـريش بيعـتها عـن رضـى لمـا توسـمته فـيه من خير . ولا ريب فهو أكثر الـناس فخـاراً وأكـرمهم نسـباً ، وهو مقدام شديد الباس في الوقائع ،كريم سخيٌّ علـى المعتفيـن ، وقـد بـدا فـي جلوسه على كرسي الإمارة كالبدر يجلي الظلم

---

[1] هو عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث من أكابر رجال الدولة المروانية في الأندلس ايام الحكم الربضي وابنه عبد الرحمن وقد كان قائداً من قواد الحكم ثم استوزره وولاه الحجابة ، وتوفي وهو في طريقة إلى غزو حليفيه سنة ٢٠٩هـ ( انظر ابن الأبار ، الحلة السيراء ج١، ص ١٣٥).

[2] ابن الأبار – الحلة السيراء ، ج١ ، ص ١٣٦.

وهكـذا ألـمّ الشـاعر فـي المقدمة برثاء الأمير الراحل وبين فداحة النازلة على نفوس الناس ثم راح يرصد فضائل الأمير ومآثره .

واشـتمل موضـوع الـتعزية والتهنـئة علـى عناصـر قديمة منذ الجاهلـية فـي المشـرق مـثل دعاء الشاعر للميت بالسقيا والرحمة من الله تعالى ورجاه أن يحييه في جنانه ، ومثاله يقول مؤمن بن سعيد :

تَهللَ بَطْنُ الأرْض لما ثوى بـهِ امامُ الهُدى مُستَودعا بطنَ مُلْحدِ

وَزَلْزلها مَوْتُ الإمـام وفقـدُهُ فقال لها اللهُ : اسكنِي بمُحَمَّـدِ

لقدْ قلتْ بعد الإمـام أمُورهَـا إلى حَيْر رُكْنٍ منْ قُريش وَمُسندِ[1]

واتسـعت المقدمـة إلـى رثـاء أبـناء هـؤلاء الأمراء والخلفاء لتخفيف هـول الـنازلة علـيهم ، كمـا فعـل مؤمن بن سعيد حين توفي أبو المطرف ابن الأمـير محمـد فقـد رثـاه بقصـيدة وصفها ابن حيان بالطول وأورد منها سبعة أبيات يقول منها :

يا مَـوْتُ ويحكَ ما تبقي وما تَذرُ قُصارُ ناسكَ وردٌ ما له صَدَرُ

للموتِ عَدوْهُ ماضي البَطْش مقتدر لا ملجّـأ عاصمٌ منه ولا وَزَرْ

أغْرى بعيْني مع السُّهّاد يوم ثَـوَى أبو المُطرفِ دمعا صوبَهُ دُرَرُ[2]

فالمرثـية افتتحـت علـى هـذا الـنحو بحكمة تناول فيها الشاعر خضوع الأنـام للقـدر المحـتوم وعجـزهم ازاء القـدر ، وقدرة الموت وبطشه الشديد ثم صـور جـزعه ، وجـزع الـناس لهذا الحدث المروع ، ودعا للميت بالسقيا على عادة الأوائل ، يقول :

جـاد الغمامُ ثَرىً وَارَىً شَمائِلهُ وَخيمُهُ وتَعَالى فوقهُ الزَّهَـرُ[3].

---

[1] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٢٢، ١٢٨.

[2] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٢٠.

[3] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٢١ .

## المدح المباشر :

تعدّ مقدمة القصيدة في الشعر العربي جسراً يعبر الشاعر من خلاله إلى غرضه الرئيس ، وعلى الرغم من تعدد المقدمات وتنوعها ، فقد كان بعض الشعراء يدخلون إلى أغراضهم دون مقدمات ، وقد كثرت هذه الظاهرة في شعر المديح ، فذهب الشعراء الى ارتجال المديح ارتجالاً دون تمهيد أو تقديم ، وقد سيقت جلّ هذه المدائح بين يدي الممدوحين في مقام الإشادة بإحراز نصر ، أو فتح حصن ، أو الإياب من غزوة ، أو التهنئة بحلول عيد أو التهنئة بالفصد ، وربما يرجع ذلك إلى أنّ طبيعة الحوادث أو المناسبات لا تستلزم من الشاعر تهيئة النفوس أو جذب الانتباه بتمهيد ينسب أو غزل ، وما إلى ذلك ، نظراً لعظم الحادثة وشرف المناسبة ، وتطلع النفوس إلى معرفة أخبار المعركة أو الحادثة ، وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك فقال : " فإنّ الاسماع تكون متطلعة إلى ما يقال في تلك الحوادث ، والابتداء بالخوض في ذكرها ، لا الابتداء بالغزل ، إذ المهم واجب التقديم "[١] . ويقول صاحب كتاب مقدمة القصيدة العربية في الشّعر الجاهلي : " إلى أنة يمكن ان ترجع هذه الظاهرة في جانب من جوانبها إلى الموقف والوقت وخاصة عند الشعراء الذين استوت قصائدهم أعمالاً فنية رائعة ، ونعني بالموقف أنّ هذه القصائد كانت من بنات الساعة ، ونعني بالوقت أن الشاعر كثيراً ما كان يسرع للتعبير عن نشوة النصر والظفر " [٢] .

وفي الشعر الأندلسي في الفترة الأموية كثرت قصائد المدح التي تخلت عن المقدمات وقد حرص الشعراء على تفخيم مطالعهم ، باعتبارها أول ما يصادف القارئ أو يقرع آذان السامع ، ونتمثل لذلك بمطالع بعض

---

[١] ابن الأثير – المثل السائر ، ج٢ ، ص ٢٢٤.

[٢] حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، ص ١٠٩.

القصـــائد ، مـــثل فائـــية عـــباس ابـــن فرناس في مدح الأمير محمد بانتصاره في معركة وادي سليط يقول :

ومختلف الأصواتِ مُؤتلف الزّحفِ لَهُـــومُ الفَلاعـــبلُ القَنابِل مُلتفّ[١]

وقد مدح ابن عبد ربه الخليفة الناصر لدين الله عندما فتح مدينة لبّلة بقصيدة بدأها بذكر صفات الممدوح والإشادة بنسبه الهاشمي العريق :

خَليفةُ اللهِ وابنُ عمّ رَسُـــو لِ اللهِ ، والمصْطفى على رُسُلهْ

هَنَّتكَ نُعمى تَمّتْ سَوابغُها كما استتّم الهـــــلالُ في كُمِـــله[٢]

ومطالع ابن شخيص ، ومنها على سبيل المثال :

بأيمن إقبـــالٍ وأسعـــدِ طَـــائـــرِ تباشيرُ محتومٍ من الأمر واقـــع

أرىَ مَشْرق الدّنيا ينافسُ مَغْربا على غرةٍ لمْ تبـــق للظلم غيهبا[٣]

وقـــد دخـــل ابـــن شـــهيد إلـــى المـــدح دون مقدمـــة تمهيدية في عدد من قصـــائده التـــي بدأهـــا بـــالمـــدح المباشـــر ، ولعل ذلك بداية للميل إلى التخفـــف مـــن الالـــتزام بالـــنهج التقلـــيدي القديـــم لبناء القصيدة ، فعندما مدح هشاما عدد صفاته وأشاد بمناقبه بلا مقدمات تقليدية ، يقول :

أحللتني بمحلّة الجَـــوْزاء ورَويتُ عنْدكَ من دم الأعْـــداء[٤]

وعندما مدح سليمان المستعين قال بلا تمهيد :

فلما بدا فيه سليمانُ عَندها وصاح ابنُ نكوانٍ فثارَ رجَالُ *[٥]

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٩٨.

[٢] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ١٦٦ .

[٣] ابن حيان – المقتبس ، ص ٥٤ ، .

[٤] ابن شهيد – الديوان، ص ٤٥.

[٥] ابن شهيد – الديوان ص ١٠٧.* وردت هكذا ولربما اسقط منها أبيات .

## وصف الرحلة :

لم يصلنا في عهد بني أمية في الآندلس وصفٌ للرحلة كاملة ، وإنما نجدها ضمن مقدمات قصائد المديح ، إذ إنّ الشاعر يتخذها معرضاً لمعاناته في الوصول إلى الممدوح وهذا ما وجدناه عند أبي المخشي بعد أن عرض تجربته مع العمى، انتقل إلى وصف الرحلة فيقول :

امتطيناها سِمَاناً بُدَّنا ... فتركناهَا نِضَاءً بالعَنَى
وَذَرِيني قَدْ تجاوزتُ بِهَا ... مُهْمَهاً قفراً إلى أَهْلِ النَّدَى
قَاصِداً خَيْرَ منافٍ كُلِّهَا ... وَمَنافٌ خَيْرَ من فوق الثَّرَى[1]

فالرحلة تقوم على المقابلة بين الناقة وبين الشاعر الأعمى فبعد أن كان مبصراً قوياً أصبح ضعيفاً هزيلاً بعد أن أصابه العمى وهو شأن هذه الدابة التي يركبها للممدوح إذ إن الدابة تحولت من البدانة والسمن إلى الهزال والمعاناة ، ويحاول الشاعر أن يؤكد عتاب زوجته ليؤكد أن الرِّحلة صعبة إلى الممدوح .

كما ذكرت حسانة التميمية سير ركائبها إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ودعت لوالده بالسقيا في مقطوعة ... من قصيدة ضائعة كان بيتها الأول في الرحلة :

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي ... على شحط تصلى بنار الهواجر[2]

وقد ذكر عباس بن ناصح ( ت بعد ٢٣٠هـ ) [3] إتعابه لمطيته في رحلته حين استغاث بالحكم الربضي (١٨٠- ٢٠٦هـ ) في

---

[1] لسان الدين بن الخطيب - الاحاطة ، مجلد ٤ ، ص ٢٣٤.

[2] المقري - نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٤٣٨.

[3] هو أبو العلاء ثقفي بالولاء اسمه عباس بن ناصح الجزيري كان يتردد على الأمير الحكم بن هشام مادحاً له ، جالساً في بعض الأحايين في مسجد قرطبة ، وعده الرازي فحل من شعراء الأندلس ( أنظر ابن حيان - المقتبس ص ٣٦).

ثلاثة أبيات ذكر فيها وادي الحجارة [١].

تملمتُ في وادي الحجارة مُسْهِراً ... أراعي نجوماً ما يردن تَغيُّرا

إليك أبا العاصي نَضيتُ مطيتي ... تسير بهم سارياً ومهجرا

تدارك نســـاء العالمين بنصرهِ ... فإنّكَ أهلٌ أنْ تغيث وتنصرا [٢]

ونحـــت الـــرحلة في القصيدة الأندلسية منحى آخر في الاتجاه ، إذا صارت الرحلة البحرية مقصـــداً للشعراء بدلاً من وصف الناقة وما أشبه ، ومثال ذلك قول ابن عبد ربه ، مادحاً الخليفة الناصر لدين الله :

بحرٌ يسيُر على بحـــرٍ بجـــاريةٍ ... للبَحْر ، حامِلهِ بالبَحْر، تُحتَمَـــلُ

كأنّها جبـــلٌ في المـــاء مُـــنتَقِلٌ ... يا مَنْ رأى جبلاً في الماء يَنتقلُ

تحكي العروسَ تهادى في تأودّها ... وقدْ أطافتْ به الدّاياتُ والخـــولُ [٣]

---

(١) مدينة تقع الى الشرق من طليطله ، وقد فتحها طارق بن زياد ، بعد فتح طليطلة ، واليها تنتسب المرأة التي ورد ذكرها في القصيدة .

(٢) المقري - نفح الطيب ، ج١، ص ٣٤٣،٣٤١ .

(٣) ابن عبد ربه - الديوان ، ص ١٥٤.

## ثانياً : حُسن التخلص :

قد عرّف ابن الأثير التخلص بقوله : " وهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الأول سبباً إليه فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ، ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ افراغاً ، وذلك مما يدلّ على حذق الشاعر ، وقوة تصرفه ؛ من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ، ويكون متبعاً للوزن والقافية فلا تواتيه الألفاظ حسب إرادته " (١)

وإذا كان الأوائل من الشعراء لم يخصوا التخلص بفضل رعاية ، فإن المحدثين من الشعراء اهتموا بهذا الجانب ، وفاقوا من تقدمهم ، ويعلل ابن طباطبا ذلك بأن " يحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ، ومن الشكوى إلى الاستماحة ، من وصف الديار والآثار إلى وصف الفيافي والنوق .. بألطف تخلص ، وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله ، بل يكون متصلاً به ، وممتزجاً معه " (٢).

وقد حرص شعراء الأندلس على تحسين انتقالاتهم وتخلصاتهم من مقدمات مدائحهم إلى موضوع المديح ، ليكون بين المقدمة والمديح ممازجة وانسجام ، كيلا يشعر المتلقي بانقطاع مفاجئ يلاشي انفعاله ، أو يشتت خواطره وأحاسيسه.

---

(١) ابن الأثير – المثل السائر ، ج٢ ، ص ٢٤٤.

(٢) ابن طباطبا – عيار الشعر ، ص ٣٤ .

وقد سلك شعراء بني أمية في الأندلس مسالك عدة للتخلص والانتقال الهادئ في قصائد المديح ، باستخدام أدوات الربط كأن ، والواو و أو وأساليب

الشرط والنداء والاستفهام غير الحقيقي لإيهام المتلقي باتصال المعنى داخل السياقات المختلفة ، ومن الأمثلة على التخلص ، قول أبي المخشى في قصيدة مدح بها الأمير عبد الرحمن الداخل مستخدماً الالتفات في قوله للتخلص من مشاق الرحلة وعتاب زوجته له ولإبانة عن ارتضائه آلام الجسد والنفس ارتجاءً لعطاء الأمير واستدرار كرمه يقول :

وذريني قد تجاوزت بها مهمهاً قفراً إلى أهل الندى

قاصداً خير مناف كلها ومنافٌ خيرَ من فوق الثرى[١]

وابن شهيد يتخلص إلى مدح المستعين مؤكداً نسبه لبني أمية ، وأن نسائم بني أمية متأصلة في الممدوح سليمان المستعين فيقول متخلصاً إلى المدح :

كأن عليها نفحة عبشمية أتتْ من جنابِ المستعين الموفق[٢]

والرمادي يتخلص من مقدمته إلى مديح عبد العزيز التي أجرى بها مفاخرة بين الأرض والسماء بأن المخففة ويفخر بممدوحه بأنه صاحب السناء والكرم وأنّه مصدر المعالي حيث تنتمي إليه يقول :

وإنْ جئتها بالشمس والبدر والحيا مفاخرةً ، جاءت بأسنى وأكرم

بعبد العزيز ابن الخلائف والذي جميع المعالي تنتمي حيث ينتمي[٣]

وابن عبد ربه تخلص إلى مدح الخليفة الناصر بمزج مناقب الخليفة بالطبيعة فيقول :

تفكّهْ أمين الله وابنَ أمينهِ بجنة دنيا رائحاً ومُبكّرا

---

[١] لسان الدين بن الخطيب - الاحاطة ، مجلد ٤ ، ص ٢٣٤.

[٢] ابن شهيد - الديوان ، ص١٠٣ .

[٣] ابن الأبار - الحلة السواء ، ج١ ، ص ٢١١.

امامُ الهدى لا زلتُ في طل حبرةٍ ولا زلتُ أكسوك الثناء المجبرا[١]

استخدم ابن عبد ربه للتخلص إلى مدح الخليفة الناصر أسلوب النداء :

يا ابن الخلائف إنّ أيامَ الغنى أيــامــك الغرّ التي اغنيننني

بنوالها وسجالها وثــمــالها اسقيتني حتّى لقــد أرويتني[٢]

كمــا يســتخدم الشــعراء الاســتفهام الاســتنكاري ومثاله قول الغزال في تخلصه إلى مديح الأمير عبد الرحمن بن الحكم :

مَنْ مُبلغٌ عنّي إمــامَ الهُدى الوارثُ المجد أباً عن أبِ [٣]

فمــا مــن شــك أن الــتخلص جاء في مكانه دون أن يحدث أي تغييرا أو تجــاوز لخفقــات القلــب وإنّمــا هــو الانعطاف الطبيعي والاهتزاز الموضوعي الذي تحتاجه النفس حتى تتجدد حيويتها ونشاطها .

---

[١] ابن عبد ربه - الديوان ، ص ١٩٢.

[٢] ابن عبد ربه - الديوان ، ص ٨٤.

[٣] محمود محمد صالح البنداق - يحيى بن حكم الغزال ، ص ١٧٦.

## ثالثاً : خاتمة القصيدة :

اهتم النقاد بخاتمة القصيدة كما اهتموا بتحسين الاستهلال والتخلص، والشاعر البارع الذي يوصل السامع في نهاية القصيدة ، إلى أن يشعر بكمال وتمام المعنى ، ويزيل عنه التوتر والانفعال الذي واكبه في حشو القصيدة ، واهتمام النقاد بالخاتمة يرجع إلى أنه " قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكماً : لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه " [١].

وإذا كان جلّ قصائد المدح في هذه الفترة موجهة إلى أمراء بني أميه وخلفائهم لذلك حرص الشعراء على تحسين انتهاءات مدائحهم ، وذلك لأن " خاتمة الكلام أبقىفي السمع ، وألصق بالنفس بقرب العهد بها، فإن حسنت حسن ، وإن قبحت قبح ، والأعمال بخواتيمها " [٢].

وليس أقدر على إثارة انفعالات الممدوح من الدعاء له بالخير والعزة ودوام الملك وامتداد الأجل ، وتحقيق الأهداف والآمال ، والنصر على الأعداء والمشركين ، وما شابهها من معان ، ومن أمثلة ذلك خاتمة محمد بن حسين الطنبي[٣] في قصيدة مدح بها هشام المؤيد ولد الحكم المستنصر :

يَا ربِّ بلّغهُ جَميعَ رَجَائِهِ ... لأبي الوليد وزدْهُ ما لم يَرْتَجِ

لِيَدُمْ سِراجُ اللهِ في هذا الوَرى ... فَضياؤُهُ من فَضْلِ نور المُسْرِجِ[٤]

---

[١] ابن رشيق – العمدة ، ج١ ، ص ٢٣٩ .

[٢] ابن رشيق – العمدة ، ج١ ، ص ٢١٧.

[٣] محمد بن حسين الطنبي ، كان شاعراً عالماً باخبار العرب وانسابهم وهو شاعر مكثر وأديب مفنن كان في أيام الحكم المستنصر عاش حتى سنة (٣٩٤هـ ) انظر الحميدي ،الجذوة ، ص ٤٧).

[٤] ابن حيان – المقتبس ، ، ص ١٥٨.

ويقول طاهر بن محمد البغدادي في خاتمة قصيدة في مدح الخليفة الحكم المستنصر :

وكمْ مرة قد عفا قادراً فألبسه الله سِرْبالها

فلا زالَ يَقهرُ أعداءَهُ ويفني الليالي وأقيا لها[١]

ويقترن الدعاء غالباً بالتنويه بافضال الممدوح الكثيرة ، وأياديه البيضاء ، وتأمينه للخائف ضد تقلبات الدهر وغدر الزمان ، وهو ضرب من ضروب التدرج المعنوي الذي يقصد إليه المبدع لإشعار المتلقي بقرب انتهاء القصيدة . ومما يصور ذلك قول عبد الكريم بن عبد الواحد مغيث الحاجب في خاتمة قصيدته التي مدح بها الأمير عبد الرحمن بن الحكم :

لله أنتَ أبو المطرفِ في الوغى ولخائفٍ ولمعْتفٍ قد أعْدما[٢]

ويقول المصحفي مؤكداً ذلك أيضاً في خاتمة قصيدته التي مدح بها الخليفة الناصر :

وكيفَ يُخافُ الدَّهرُ عند خليفةٍ قَديرٍ على بَسْطِ الأُمورِ وَقَبْضها[٣]

ونلاحظ ان الشعراء جوّدوا خاتمة القصيدة فعصموها من الحشو باساليب منوعة ، وهكذا تضامنت عناصر البناء العضوي للقصيدة مع البناء الهيكلي مما ساهم في إخراج بناء متكامل الشكل والمضمون .

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٥٨.

[٢] ابن حيان – المقتبس ، ص ٨٤ .

[٣] ابن حيان – المقتبس ، ج٥ ، ص ٤٧ .

# المعجم الشعري

## ثانياً : المعجم الشعري :

من المعروف أنّ اللغة الشّعرية أداة هامة لتوصيل الأفكار ونقل الشعور والانفعال وهي مجموعة من الألفاظ والتراكيب في النص الشعري ، ومن المعروف أيضا أن الظاهرة اللغوية تتركب أساساً من عمليتين متواليتين في الزمن متطابقتين في الوظيفة ، وهما اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي اللغة ثم تركيبه لها متبعاً لمقتضيات النحو(١) .

وقد أدرك نقاد الشعر العربي منذ وقت مبكر بحسهم المرهف ، وبصيرتهم اللمّاحة أن الموازنة بين اللفظ والمعنى من أسباب اكتمال القصيدة " فإذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهُجْنه عليه .. فإن اختل المعنى كله وَفَسُد، بقي اللفظ مَوَاتاً لا فائدة فيه " (٢).

وقد تأثر المعجم الشعري لقصيدة المدح في الأندلس بعدد من العوامل الثقافية ، ولبلورة ذلك يحسن الوقوف على ذلك من خلال الظواهر التالية :

### الألفاظ الدينية :

اكثر شعراء بني أمية في الأندلس من الاقتباس من القرآن الكريم ، مما يدل على لون ثقافتهم الدينية ، وقدرتهم على توظيف محفوظهم من القرآن ، وتمثل هذا التأثر في مظهرين : الألفاظ الدينية ، اقتباس الآيات القرآنية نصاً أو معنى .

---

(١) عبد السلام المسدي – النقد والحداثة ، ص ٥٢ .

(٢) ابن رشيق القيراوني – العمدة ، ج١ ، ص ١٢٤ .

قد أكثر شعراء بني أمية من استعمالهم الألفاظ الدينية والإسلامية ، ويقف في المقدمة لفظ الجلالة " الله " وفي ذكره يقول عبد القدوس بن عبد الوهاب في تهنئة الخليفة الحكم المستنصر بالعيد ، والقضاء على ثورة حسن بن قنون :

قدْ قدرّ اللهُ أنْ تحوي كتائبه مُلْكَ العراقَ وَمُلْك الشام والحرم[١]

والله هو القادر على اذلال كل معاند مختال ، وهذا ما يؤكده قول ابن مجاهد الاستجي بعد مدح الخليفة الحكم المستنصر وذكر حسن بن قنون :

يُطاطِئُ اللهُ مَن استطالا ويقصمُ المعانِدَ المُخْتالا [٢]

ويؤكد ابن عبد ربه أنّ الله سبحانه وتعالى قد شفى ممدوحه الخليفة الناصر لدين الله ، من كلّ أعدائه ، ونصره في غزوة حَيّان سنة ( ٣٠٠هـ ) :

فانْصرفَ الأميرُ من غَزَاتِهِ وَقدْ شفاهُ اللهُ منْ عُداتِهِ [٣]

وله أيضا في نصرة الله للخليفة الناصر، وقد مكنّه الله من النصر على أعدائه يقول :

ثمّ اقاد الله مِن أعدائِهِ وأحْكَمَ النّصرَ لأوليائِهِ[٤]

ومن الألفاظ الإسلامية التي ما فتئ شعراء الأندلس يرددونها في أشعارهم المدحية لفظ " **الإسلام** " كما في قول محمد بن شخيص بعد قضاء الحكم المستنصر على فتنة حسن بن قنون مؤكداً أنّ تضحيات الخليفة وكل مساعيه ودفاعَه ، إنّما كانت في سبيل الإسلام وحده يقول :

وقدْ عَلمَ الإسلام ما أنتَ منفقٌ وفي نَصرْ من تَسْعى وعمن تُدافعُ[٥]

---

[١] ابن حيان – ، ص ١٦٤.

[٢] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٦٦.

[٣] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٢٠٤.

[٤] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٢٠٩.

[٥] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٣٧.

وقال ابن مجاهد الأستجي في قصيدة مدح بها الخليفة الحكم المستنصر ، وفيها يشير إلى سعي أصحاب الفتنة للنيل من حرمةِ الإسلام وما يستتبع ذلك من زوال كلمة الحق والردّة عن دين الله :

باغين دين الله أنْ يُحالا ومستقر الحقّ أنْ يُزالا

وَحُرْمة الإسلام أنْ تُدالا ولنْ يريد اللهُ أنْ يُعالا[١]

وقال ابن عبد ربه ذاكراً لفظ الإسلام في معرض مدحه للخلفية الناصر سنة ( ٣٠٠هـ ) لأنه قاتل ليدخل في قبته المارقين عنه ويخرجهم من ديار الشرك :

أدخلتَ في قُبّةِ الإسلامِ مارقة أخرجْتها من ديار الشّرك إخراجا[٢]

وتطالعنا ألفاظ وعبارات كان للإسلام أثر واضح فيها ومن هذه ( صنع الله ، نصر الله ، دين الله ، فتح الله ) وغيرها كثيراً فلفظ الجلالة كان فاعلاً في الأحداث ..إذكان الأمر قائماً على إعلاء شأن المعنى وخلع الصبغة الدينية الشرعية عليه .

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن مروان بن المنذر في مديح الناصر لدين الله عند خروجه إلى بعض غزاوته :

تَعَوّدتَ صُنعَ اللهِ في كلّ مارقٍ وَتَأييدُهُ في كلّ وَجْهٍ تُقابلُ[٣]

ويشبه ابن عبد ربه نصر الله بالسيف المنصلت الذي يُقطّعُ كل من عادى ممدوحه ( الإمام الناصر لدين الله ) ، يقول :

يمْضي أمامَكَ نَصرُ الله مُنْصلتاً بالفتح يقصمُ مَنْ في الأرض نَاواكَ[٤]

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٦٧.

[٢] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٤٤.

[٣] ابن حيان – المقتبس ، ج٥ ،ص ٤٥.

[٤] ابن عبد ربه – الديوان، ص ١٤٦.

وقال ابن مجاهد في رفعة دين الله وتعاليه بعد الفتوحات التي حققها الخليفة الحكم المستنصر :

لمّا رايتُ السّعد قَدْ تَوالى  وَعِزُّ الله قَدْ تَعالىَ [١]

ومن الألفاظ التي ترددت في المعجم اسم النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أو صفاته ، ويقرنون باسمه كل الانتصارات التي يحققها أمراء بني أمية ، ومن ذلك قول الشاعر محمد ابن عبد العزيز العتبي ، الذي يكرم الأسلحة بنسبتها للرسول ، صلى الله عليه وسلم :

سائِلْ بمواردة سُيُوفَ مُحمَّدٍ  خلّينَ مِاردةً كانْ لم تَمْرُدُ[٢]

ومنها قول محمد بن شخيص في نسبة الأمّة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

هُما قاتلا فرعونَ أمّةِ أحمدٍ  برغم معدٍ والرّماح الشوارع[٣]

وقال أحمد بن عبد ربه بأن قتال الخليفة وجيشه إنما كان لنصر محمد صلى الله عليه وسلم المصطفى :

ونُصرَ الإمامُ فيها المصطفى  وقدْ شفى من العدوّ واشتفى[٤]

ومثلما كان مصير الكفر والذل والهوان على أيدي المسلمين كان كذلك نصيب النفاق ، وهذا ما يؤكده قول ابن عبد ربه :

ماتَ النفاقُ وأعطى الكُفْر نمتَهُ  وَذلّت الخَيلُ إلجاما واسراجا[٥]

ومن الألفاظ المكررة كما لاحظنا في الاتجاه المذهبي الإمام والخليفة والهدى والمارق والشرك والكفر والنفاق وما أشبه .

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص١٦٦.

[٢] ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٢٣.

[٣] ابن حيان – المقتبس ، ص ٥٤.

[٤] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٢١٦.

[٥] ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٤٤.

## ألفاظ الحرب :

فقد راح الشعراء يقتبسون ألفاظ ومعاني الحرب والمعارك ، ويضمنونها مدائحهم وقد دارت أغلب هذه الألفاظ والمعاني حول قيم العرب الأصلية في الشجاعة والفروسية ، والثبات في ساحة المعركة والكرم ... الخ .

فهذا أحمد بن عبد ربه يمتدح شجاعة الخليفة الناصر في قيادة الجيش الإسلامي لمواجهة الكافرين حيث يقول :

فانسابَ ناصر دين الله يَقدمُهُم ... وحولَهُ من جنود الله أنصارُ

كتائب تتبارى حول رايتهِ ... وحَحَفَلٌ كسواد الليل جرار

قومٌ لهم في مكرّ الليل غَمْغَمَةٌ ... تحت العَجاج وأقبالٌ وإدبارُ[١]

واهتم شعراء مديح بني أمية في الأندلس بألفاظ الحرب كالرماح والسيوف والكتائب والمناجيق والسهام .... الخ .

لما لها من دور فعال في إبراز قوة وشجاعة الممدوح من جانب وإبراز أثرها في الاعتداء من جانب آخر ، وفي ذلك يقول جعفر المصحفي يصف فعل بعض الأسلحة في الإعتداء ومنها السهام والمناجيق ، ويشبهه بصعق الرعد الذي يتبعه مطرٌ وابل ، يهمي مطردا ، اشارة الى اتصال الرماية والقصف :

وكأن مستّن السّهام على ال ... باقين منهم صيب بردِ

وكأنّ قذف المنجنيق بها ... صعقٌ غدا يهمي ويطرد[٢] .

---

(١) ديوان ابن عبد ربه ، ص ٨٩.

(٢) الكتاني – التشبيهات ، ص ٢٠٥ .

## اقتباس الآيات القرآنية :

اكثـر شعـراء الدولة الأموية من اقتباس الآيات القـرآنية اقتباسا مباشرا حينا ، وإشاريا حينا أخر ، وهو مظهر قوي من مظاهر التأثر القرآني ، فقد جرى التركيب القرآنـي من خلال بعض الآيات في شعر الشعراء ، ومن أمثلة ذلك قول ابن عبـد ربـه حيـن يصـف أثـار هـزيمة ابن حفصـون ، واتباعه على يد جيش الأمير عبدالله:

فكأنّما جاست خلال ديـارهمْ أسْدُ العَـرين خلتْ بسرب نعاج[١]

وهـو ينظر إلى قوله تعالى : ( بعثنـا عليكم عبـادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الـديار[٢].

وابـن عـبد ربه يذكر النار التي يردها الكافرون في قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله ، يقول :

وأوْرد النّار من أرْواح مارقةٍ كادتْ تميّز من غيظٍ لها النّار[٣]

وفي البيت إشارة واضحة إلى الآية الكريمة : ( إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهـي تفور * تكاد تميزُ من الغيظ كلما ألقي فيها فوجٌ سألهم خزنتهـا ألمْ يأتكـم نـذيرٌ [٤] .

وطاهر بن محمد البغدادي يرسم صورة عن قيادة ممدوحه وجيشه الذي جعل الأرض تتزلزل تحت أقدام الأعداء من كثرة العدد والعتاد ، يقول :

ولمّا سرى جُندهُ نحـوهـا تزلزلت الأرضُ زلزالها[٥]

---

(١) ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٨٩ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٥ .

(٣) ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٨٨ .

(٤) سورة الملك – الآية ٧ ، ٨.

(٥) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٥٧.

ويشير إلى الآية الكريمة ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ [١]

واستوحى محمد بن شخيص الآية الكريمة : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نُملي لهُمْ خيرٌ لأنفسهم إنّما نُملي لهُمْ ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مهين ﴾ [٢].

في ذكر فتنة حسن بن قنون أيام الحكم المستنصر وتحذيره من التمادي في غيه ، يقول :

واللهُ يُملي لِقومٍ كيْ يزيدهم  منْ بأسه ولهذا أرخى اللبب [٣]

ومن المعاني المستوحاه من القرآن الكريم ، قول أحمد بن عبد ربه ، في ذكر انتصار الأمير عبدالله في فتح حصن بلاي ومدحه :

ديارٌ الذينَ كذبّوا رسلَ رَبهّم  فلاقوا عذاباً كان موعده الصّبحُ[٤]

قال تعالى :﴿ قالوا يا لوطُ إنا رُسُل رَبّكَ لنْ يصلوا إليك . فاسْرِ بأهلك بِقطعٍ من الليل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلاّ امراتك إنّه مُصيبها ما أصابهُم إنّ مَوْعدهم الصبحُ أليس الصبحُ بقريبٍ ﴾ [٥].

ومؤمن بن سعيد في مديحه للأمير محمد ينظر إلى المعنى القرآني في قوله تعالى : ﴿ ثمّ ارجعِ البصر كرتين ينقلب إليك البصرُ خاسئاً وهو حَسيرٌ ﴾ [٦].

فيقول :

أغرُّ كالبدْر ينجابُ الظلامُ به  ويَرْجعُ الطرفُ عنه وهو محسورُ[٧]

---

(1) سورة الزلزلة – الآية ١ .

(2) سورة آل عمران – الآية ١٧٨.

(3) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٥٩.

(4) ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٥٦.

(5) سورة هود – الآية ٨١.

(6) سورة الملك – الآية ٣،٤.

(7) ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٠٣.

ونلمح اثر المصطلحات اللغوية والنحوية ظاهراً في قول ابن عبد ربه في مدح الأمير الناصر بحسن التدبير والتصرف :

أضحى لكَ التدبير مطرداً  مثل اطراد الفعل للإسم [١]

## أثر الطابع التسجيلي في المعجم الشعري :

لعل من أبرز خصائص قصيدة المديح الأموية في الأندلس ، غلبة الطابع التاريخي عليه ، نظراً لكونه يمثل وثيقة تاريخية ، تؤرخ قصائد المديح للأمراء والخلفاء وحروبهم ضد الأعداء في تلك الديار .

فقد مال شعراء الدولة الأموية في الأندلس احياناً إلى الاكثار من ذكر أسماء الأشخاص ، والأماكن الأندلسية والأجنبية – أسماء مدن الفرنجة والقياصرة –مما يضفي على نماذجهم الشعرية طابعاً تسجيلياً ، ويجعل القارئ في حاجة إلى الاستعانة بالمعاجم للتعريف بها ففي ذكر أسماء الأماكن ، يقول الشاعر العتبي في مديحه للأمير محمد :

سَائلْ " بمَارِدةَ " سُيوفَ مَحمدٍ  حلين " ماردةَ " كأنْ لمْ تمرد[٢]

وله أيضاً قوله :

فاستخبرنْ " قلعة الحنش " التي دُمرت

هل عندها لعداةِ الله من خبر[٣]

وقول محمد بن شخيص في مديحه للخليفة الحكم المستنصر :

لقد حلّ بأسُ اللهِ " بالكرم " الذي  غدا وهو في حزب الضلال بلاقعُ[٤]

الكرم هو من أهم حصون بلاد العدوه .

ويقول ابن عبد ربه :  كأن " بلايا " والخنازيرُ حولها

مُقطعه الأوصال ، أنيابها كُلح[٥]

---

(1) ابن عبد ربه – الديوان ، ص ١٧٦.

(2) ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٢٤.

(3) ابن حيان – المقتبس ،ص ٣٥٧.

(4) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٣٧.

(5) ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٥٥.

وبلايا : هو حصن بلاي من كورة قبْرة .

أما أمثلة ذكرهم للأشخاص فمنها قول عباس بن فرناس :

يَقُول " ابن بلوش لموسى " وَقَدْ دَنَا

أرى الموتَ قُدامي وتحتي وَمِنْ خَلْفِ[١]

ومن هنا كان هذا الضرب من الشعر سجلاً تاريخياً مهماً ، ولوناً من ألوان التعبير التي يمكن من خلالها أن نلمس خطوط الدولة الأموية في الأندلس .

وتعد أرجوه ابن عبد ربه التاريخية مثالاً واضحاً لدور الطابع التسجيلي في المعجم الشعري ، فهو يتابع فيها انتصارات الخليفة عبد الرحمن الناصر وقد أكثر ابن عبد ربه من ذكر الأماكن والسنوات والأعداد وأسماء الشخوص في هذه

الأرجوزه وإذا ما تركنا مقدمة هذه غزوة المنتاوى تأتي الغزوة الأولى غزوة المنتلون وذكر مكانها ومنها يقول ان عبد ربه :

ثمّ انتحى جيّان في عزاتهِ بعسكر يَسْعَرُ من حُماتِهِ[٢]

ويذكر المدن والأماكن الأندلسية بكثرة في أرجوزته فيذكر إلبيَرة في قوله :

ثمّ انتحى من فوره إلبيَرهْ وهي بكلّ آفةٍ مشهورة [٣]

ويذكر استجه وهي مدينة بين القبلة والمغرب من قرطبة . قال في الروض المعطار : وكان أهل إستجة ممن خلع وخالف فافتحها عبد الرحمن الناصر على يد بدر الحاجب سنة ثلاث مئة " [٤]، يقول ابن عبد ربه :

---

(1) ابن حيان - المقتبس ، ص ٣٠٠.

(2) ابن عبد ربه - الديوان ، ص ٢٠٣. وجيان مركز كورة تعرف بكورة جيان ، ولها أقاليم عدة تابعة لها . قال ابن سعيد : انها منطقة جليلة بمتوسطة الأندلس بين غرناطة وطليطلة ومرسية ، ومدينة جيان من أعظم مدن الأندلس في المنعة . (أنظر المغرب في حلى أهل المغرب)

(3) ابن عبد ربه - الديوان ، ص ٢٠٤. . إلبيرة من كور الأندلس ، جليلة القدر ، وقد نزلها جند دمشق من العرب ، وكثير من موالي الإمام عبدالرحمن بن معاوية ، وكانت مدينة البيرة قاعدة (الكورة عامرة ) الى أوائل القرن الخامس ، حيث خربت بحر أهلها أيام الفتنة . (انظر الروض المعطار)

(4) ابو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الحميري ، الروض المعطار في خبرة الأقطار ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، سنة ١٩٨٠م.

وقبلها ما خضعتْ وأذعنتْ إستجة وطالما قد صنعت[١]

وذكر فيها أماكن عده وهي شذونةِ ، رُيّة ، قرمونه ، بُبشْتَرْ ، مرسُيْهْ ، بلنسيْهْ ، لبلـــبة ، بلدهْ ، كورُ ، أليون وبنبلونهْ ، أرثيط ، برشلونه ، طرَّشْ ، شاط ، أشُونه ، أشْتبينَ ، أكْشُوبنهْ ، باجّـــهْ ... الخ .

ومن الأمثلة على ذكر الشخوص قوله :

فأسلمتْ ولم تكن بالمسلمة وزال عنها أحمد بن مسلمه[٢]

ومن أسماء الشخوص التي وردت :

القرشي : القائد اسحاق بن محمد القرشي .

السوادي : هو حبيب بن عمر بن سواده صاحب قرمونه المستبد .

أبو العباس : القائد أحمد بن محمد بن أبي عبده .

دُرّيُ : هو دري بن عبد الرحمن احد قواد الناصر لدين الله .

عمر بن حفصون ... الخ .

وبذلـــك بعـــد تعـــد ارجـــوزة ابـــن عـــبد ربه سجلا حافلا يذكر الأماكن الأندلسية والشخصيات من القادة والملوك والثوار .

*** الترديد :**

وقـــد ذكـــر البلاغيون القدامى مصطلحات تكاد تكون مادتها واحدة مثل التصدير ، والتعطف ، والترديد والمشاركة ورد العجز على الصدر ، إلا أنهم فرقوا بينهما فروقا دقيقة من حيث اختلاف موضع الكلمة واختلاف موضع ترددها .

---

(١) ابن عبد ربه – الديوان ، ص ٥٤ .

(٢) ابن عبد ربه ، الديوان، ص ٢٠٥ . أحمد بن مسلمة ، نبغ اسمه بعد وفاة عبدالرحمن بن ابراهيم بن حجاج اشبيلية ، ، قدمه أهلها عليهم . ثم نزل على طاعة الأمير عبد الرحمن وتولى عددا من المناصب الى وفاته سنة (٣٢٧) . انظر ابن عذاري البيان المغرب ، ج٢ / ١٦٣ .

"ويقـــوم الـتـرديد على أسـاس أن يعـلق الشاعر اللفظة في البيت بمعنى من المعاني ، ثم يردها بعينها ، ويعلقها بمعنى آخر ليفجر طاقتها المعنوية في السياق الشـعري ، ويولد إيقاعاً موسيقياً من خلال تكرار أصوات الكلمتين ، يواكب المعنى المسوق ، ويتجاوب معه" وهذا ما جاء عند العلوي الترديد أن تعلق اللفظة بمعنى من المعاني ثم نردها بعينها وتعلقها بمعنى آخر . " (١) ٧

وقد استخدم شعراء مديح بني أمية في الأندلس الترديد في أشعارهم ومن ذلك قول محمد بن محامس الأستجي في مدح الخليفة الحكم المستنصر :

تشاغلتَ المُلوكُ بمن دَهَاها وشغلكَ في جهَادِكَ بالجَهادِ[٢]

ومنه قول محمد بن شخيص مادحاً الحكم المستنصر :

سَرَتْ فيه أعراقُ النجابة إذ سَرتْ من الحكم المهديّ فيه طبائع[٣]

وقوله :

أتينـا فقبلنـــا النـدى ولو أنّنـا أقمنـا أتانا في ظـلال المنـازل

سرت في نواحي الأرض أفعالك التي غدا فاعلُ الحسنى بها غير فاعل

محلك في حييْ قريش كليهمـــا محلٌ قريـش في جميع القبائل[٤]

ونلاحظ من هذه الأمثلة البسيطة تكرار الألفاظ وما يصاحبها من خلق المعنى ، وما تؤديه هذه الألفاظ المكررة من تناسق في الإيقاع الموسيقي .

## مراعاة النظير :

ومراعاة النظير في الاصطلاح البلاغي هو أن يجمع الشاعر أمراً وما يناسبه من الألفاظ أو المعاني [٥] ليتحقق الائتلاف والانسجام داخل السياق الشعري .

---

(١) يحيى بن حمزه العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مطبعة المقتطف ، القاهرة سنة ١٩١٤ ، ج٣ ، ص ٨٢ . .

صور .

(٢) ابن حيان- المقتبس ، ص ٦٢.

(٣) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٣٨.

(٤) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٢١.

(٥) الخطيب القزويني ، شرح التلخيص في علوم البلاغة ، تحقيق / محمد هاشم دويدري ، الطبعة الأولى ، دمشق ، سنة ١٩٧٠م ، ص ٧٠.

وقد اهتم شعراء مديح بني أمية في الأندلس بهذه الظاهرة لاثراء صورة الممدوح . ولكـــي تتجانس مفردات الأبيات ، وتتناغم أجزاؤها ومما يوضح ذلك قول مؤمن بن سعيد في مديحه الأمير محمد :

ولا زال مهدياً إلى البرِّ هادياً إليه وللمعروفِ والخيرِ صانعا[١]

وقول ابن شهيد في مديحه سليمان المستعين :

بطلٌ إذا خَطَبَ النفُوسُ إلى الوغى جَعَلَ الظُّبا تَحْتَ العَجاج صداقها[٢]

وقول علي بن أحمد بن يعلى مادحا الخليفة الناصر لدين الله :

ومثلُكَ مَنْ جَنَى ثمر الأماني وآتى حَقه يَوْمَ الحَصَادِ[٣]

ونلاحـــظ الـــتلاؤم المعـــنوي مـــن هـــذه المفـــرادات بين الهداية والخير ، والخطبة والصداق وبين الجنى والحصاد .

---

(١) ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٢٢.

(٢) ابن شهيد – الديوان ، ص ١٣٧.

(٣) ابن حيان – المقتبس ، ج٥ ، ص ٢٢٥.

# إيقاعية الشعر :

## ثالثاً : إيقـــاعيـة الشعـــر :

أن دراســتنا للإيقاع الشعري لقصيدة المديح الأندلسية في فترة الدولة الأموية ينقســم إلـــى الموســيقى الداخلية والموسيقى الخارجية ، " وتتميز قصيدة المديح بين قصائد الشعر الأخرى ، بأنها حصيلة التفاعل بين المبدع والمتلقي " الممـــدوح " وهذه الطبـيعة الخاصـــة التـــي تنحو بفن دائما نحو الآخر ، جعلت الشاعر المادح بجانب اهـــتمامه بالصورة في بناء قصائده – يهتم بالتشكيل الصوتي الذي يمكن أن يكون له تاثـــير انفعالـــي على ممدوحه عند إنشاده المدحة ، ولا سيما التشكيل الإيقاعي الذي يرتكز على تردد ظاهرة صوتية معينة على مسافات زمنية محددة " [١].

### أولاً : الموسيقى الخارجية :

تـــتكون الموســيقى الخارجيـــة في الشعـــر من الـــوزن والقافيـــة التصريع فضـــابـــط موســيقى الشعـــر قواعد علمّي العروض والقوافي ، ومنذُ وجد الشعر ، وجـــدت معه الأوزان ، فالشـــاعر لا ينـــطق بكـــلامه في لغة عـــادية ، وإنمّا ينطقه موزونا "[٢] .

---

(١) اشرف لجا ، قصيدة المديح في الأندلس ، ص ٢٢٠.

(٢) شوقي ضيف – في النقد الأدبي، ص ٩٩.

## أ- الـــوزن :

" يمـــثل الـــوزن البنية الإيقاعية الأساسية في موسيقى الشعر ، بكونه وسيله لجعل اللغة شعراً "[١] حيث يمكّن الكلمات من أن يؤثر بعضها في بعض على نطاق واسع فيثير فينا انتباهاً عظيماً ، وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تتسجم مع ما نسمع ، لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى " [٢].

وقـــد ذهـــب بعـــض الـــنقاد إلـــى أن الشـــعراء يتمـــيزون الأوزان وفقاً لموضـــوعات الشـــعـــر ، فقـــال ابـــن طباطبا : " فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة ، محـــضّ المعـــنى الـــذي يـــريد بـــناء الشعر عليه في فكرة نثراً وأعدّ له ما يلبسه إيـــاه مـــن الألفـــاظ التـــي تطابقـــه والقوافـــي التي توافقه ، والوزن الذي يسلسله القول عليه " [٣].

وقـــد أيدّ القرطاجنى [٤] ابن طباطبا في الربط بين أغراض الشعر وأوزانه ولكن عزّ الدين اسماعيل يخالف ذلك فيرى أنّ " الشاعر حين يريد أن يقول شعراً لا

---

[١] جون كوين – بناء لغة الشعر ، ص ٨٥ . ، سنة ١٩٩٠م.

[٢] ابراهيم أنيس – موسيقى الشعر ، ص ١٨ ، ط٥ .

[٣] ابن طباطبا العلوي – عيار الشعر ، ص١١ .

يحدد لنفسه بحراً بعينه ، وإنّما هو يتحرك مع أفاعيل نفسه فيخرج الشعر في الوزن الذي يصدف له من الأوزان " [١].

ولا نستطيع أن نكون مع هذا الرأي أو ذاك إلا بعد دراسة إحصائية للأوزان التي جاءت عليها قصيدة مدح بني أمية في الأندلس والأوزان التي اتخذها الشعراء الأندلسيون اطاراً موسيقياً لأغراضهم ، وموضوعاتهم في قصيدة مديح بني أمية في الأندلس ، انطلاقاً من المجموع الشعري الذي بين أيدينا ، واعتماداً على إحصائية تتعلق بتلك القصائد والمقاطع التي بلغ عددها (١٧٩) قصيدة ، قد صيغت على أحد عشر وزناً من أوزان الشعر العربي ، والجدول الآتي يوضح النسبة المئوية لكل بحر ، وهي مرتبة من حيث الكم :

| البحور ذات الأوزان الطويلة | عدد القصائد والقطع | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| الطويل | ٥٧ | ٪ ٣١,٨ |
| الكامل | ٤٢ | ٪ ٢٣,٤ |
| البسيط | ٣٣ | ٪ ١٨,٤ |
| المجموع | ١٣٢ | ٪ ٧٣,٦ |

[١] عز الدين اسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

| البحور ذات الأوزان الخفيفة | عدد القصائد والقطع | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| المنسرح | ٩ | ٪ ٥ |
| الوافر | ٩ | ٪ ٥ |
| السريع | ٧ | ٪ ٣,٩ |
| المتقارب | ٧ | ٪ ٣,٣ |
| الخفيف | ٤ | ٪ ٢,٣ |
| الرجز | ٣ | ٪ ١,٦ |
| الرمل | ٢ | ٪ ١,٢ |
| المتدارك | ١ | ٪ ٠,٥ |
| المجموع | ٤٢ | ٪ ٢٣,٤ |

| البحور المجزوءة | عدد القصائد والقطع | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| مجزوء الرمل | ٢ | ٪ ١,٢ |
| مجزوء الكامل | ٢ | ٪ ١,٢ |
| مجزوء البسيط | ١ | ٪ ٠,٦ |
| المجموع | ٥ | ٪ ٣ |

نلاحظ من هذه الإحصائية أنّ الشعراء في قصيدة مديح بني أمية أكثروا من الأوزان التامة والطويلة ، " ولا شكّ أن طبيعة فن المديح بما يتضمنه من معاني أرستقراطية جليلة تنحو منحى الكمال الإنساني المطلق في تجسيد صورة الممدوح في السلم والحرب ورغبة المادح الملحة في الإفصاح عن واقع الحال في شيء من الإفاضة والتفضيل ، قد حدتْ الشعراء على أن يصبوا تجاربهم المدحية في أوزان طويلة كثيرة المقاطع ، تتسع مساحات تفعيلاتها كما وكيفاً للتعبير عن المثل والغايات والآمال ، والتنفيس عن هموم النفس وأشجانها وتوترها باحتساب الصلة والرزق ولأمان لدى الممدوح ، هذا بالإضافة إلى ما يصاحب إنشاد المدحة غالباً في حضرة هؤلاء الملوك والأمراء من مظاهر القوة والسلطان والأبهة والفخامة التي أحاطوا بها أنفسهم ، مما كان يزيد الموقف جلالاً ووقاراً ، ويستلزم إيقاعاً ثقيلاً رصيناً يناسب المقام " [1] ويلاحظ أنهم صاغوا المدح في أكثر أعاريض الخليل وبحوره وأن الإيقاع كان منوعاً بين الإيقاع البسيط والمركب .

وعلى ذلك فإن الربط بين وزن القصيدة وموضوعها ليست هذه هي القاعدة المطلقة فمن خلال الاستقراء الإحصائي السابق نجد أن هناك بعض القصائد صيغت على الأوزان الخفيفة وعلى البحور المجزوءة ، " ولعلّ ذلك يثبت أن وزن القصيدة

---

[1] اشرف بحا – قصيدة المديح في الأندلس عصر الطوائف ، ص ٢٨٣.

وإيقاعها لا يحددهما الموضوع ، بقدر ما تحددهما الظروف والملابسات والتأثيرات العاطفية التي لا يمكن فصلها عنهما " [١].

ومن الإحصائية السابقة يتبين أن ما نظم في بحر الطويل يمثل اجمالي القطع والقصـــائد ، وعن هذا البحر يقول إبراهيم أنيس " قد نظم فيه ما يقرب ثلث الشعر العربي القديم " [٢] .

ومما لا شك فيه أنّ الوزن يشكل الحجر الأساسي للموسيقى الشعرية ، " فهو أعظـــم أركـــان حد الشعر وأولاها به خصوصية " [٣] ، لأنّه يضفي على الصورة الشـــعرية كثـــيراً من الجمال بما فيه من أنسجام في توالي تفعيلاته ومقاطعه وتردد نغماتها في توافق زمني محدد .

**ب – القافية :**

وتمـــثل العنصـــر الثاني من عناصر الموسيقى الخارجية ، " والقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية[٤] "... والقافـــية كما عرفها الخليل : " القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله ، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن " [٤].

---

[١] ريتشاردز – مـــبادئ النقـــد الأدبي ، ص ١٩٧ .

[٢] إبراهيم أنيس – موسيقى الشعر ، ص ٥٩.

[٣] ابن رشيق القيراوني – العمدة ، ج١ ، ص ١٣٤.

(٤) ابن رشيق القيراوني – العمدة ، ج١، ص ١٥١.

[٥] ابن رشيق القيراوني – العمدة ، ج١، ص ١٥١.

وتـتكـون القافيـة من حرف أسـاسي ترتكز عليه ، ويعرف باسم الروي وهـو " آخر حرف صحيح في البيت ، ويتكرر عبر نهايات سائر الأبيات ، وعليه تبنى القصيدة ، وإليه تنتسب فيقال همزية أو بائية ، تبعاً لحرف رويها " (١).

ولجـد أنّ قصـيدة مديح بني أمية في الأندلس ، قد سارت على تسعة عشر صوتاً من أصوات الروي ، تشكل الأصوات المجهورة بينها نسبة (٦٧,٢٪) في حين تشكل الأصوات المهموسة بينها نسبة ( ١٨,٦٪) والاستقراء الإحصائي يبين ذلك :

| حروف الروي المجهورة | عدد القصائد والمقاطع | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| الراء | ٣٩ | ٢١,٧٪ |
| الميم | ٢٣ | ١٢,٨ ٪ |
| الدال | ٢٢ | ١٠,٢ ٪ |
| اللام | ١٧ | ٩,٤ ٪ |
| النون | ١٥ | ٨,٤ ٪ |
| الباء | ٩ | ٥,١ ٪ |
| العين | ٩ | ٥,١ ٪ |
| الجيم | ٦ | ٣,٣ ٪ |
| الياء | ٢ | ١,٢ ٪ |

(١) حسين نصار – القافية في العروض والأدب ، ص ٤٠ ، ٤١ .

| | | |
|---|---|---|
| الضاد | ٢ | ٪ ١,٢ |
| المجموع | ١٤٤ | ٪ ٧٩,٩ |

| حروف الروي المهموسة | عدد القصائد والمقاطع | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| السين | ٧ | ٪ ٣,٩ |
| القاف | ٦ | ٪ ٣،٣ |
| الكاف | ٦ | ٪ ٣،٣ |
| الهاء | ٦ | ٪ ٣،٣ |
| الفاء | ٥ | ٪ ٢,٨ |
| التاء | ٢ | ٪ ١,٣ |
| الطاء | ١ | ٪ ٠,٦ |
| الحاء | ١ | ٪ ٠,٦ |
| المجموع | ٣٤ | ٪ ١٨,٦ |

| حروف الروي اللامجهورة واللامهموسة | عدد القصائد والمقاطع | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| الهمزة | ١ | ٪ ٠,٥ |
| المجموع | ١ | ٪ ٠,٥ |

ولعـلّ هذا الاستقراء الإحصائي لأصوات الروي يوضح مدى ما اتسمت به قصـائد المديح من وضوح سمعي ورنين خاص يميزها . " لأن الصوت المجهور عـند الـنطق بـه يندفع الهواء خلال الوترين الصوتيين ، فيهتزان اهتزازاً منتظماً محدثيـن صـوتاً موسـيقياً ، تـتفاوت درجته وشدته أو علوه حسب عدد الذبذبات الصـوتية وسـعتها ... فـي حين أن الصوت المهموس عند النطق به لا يهتز معه الوتران الصوتيان ، بحيث لا يسمع لهما رنين " [١].

## جـ – التصـريع :

" التصـريع هـو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربة ، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته ... واشتقاق التصريع من مصراعي الباب ، ولذلك قيل لنصف البيت مصراع ، كأنه باب القصيدة ومدخلها " [٢].

وقـد اسـتخـدم شـعـراء بنـي أميـة في الأندلس التصريع في مطالع مدائحهـم ، لاثـراء معجمهم الإيقاعي ، من خلال التجانس الصوتي الذي ينشأ بين المقـاطع فـي نهاية كل مصراع من البيت ، وما ينجم عن تكرار الصوت من أثر سمعي يشّد انتباه المتلقي ويؤثر في نفسه ، ومن أمثلة هذا النمط الإيقاعي في مطالع القصائد المدحية الأموية في الأندلس ، قول الشاعر مؤمن بن سعيد في مدح الأمير محمد بالتواضع :

---

[١] إبراهيم أنيس – الأصوات اللغوية ، ص ٢٠.

[٢] ابن رشيق – العمدة ، ج١ ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

لعمرِي لَقد أبدى الإمامُ التَّواضُعا  فأصبحَ للدنيا وللدّين جامعا[١]

وقول عباس بن فرناس في مطلع إحدى مدائحه في الأمير محمد :

ومختلفِ الأصْواتِ مُؤتلِفِ الزَّحْفِ  لهوم الفلا عَبْلِ القنابل مُلْتَفِّ[٢]

ومثاله قوله الرمادي [٣] مادحاً الحكم المستنصر :

ولقدْ عَجِبْتُ لفعلة المُستنصِـر  إذ أكشفَ الحَيْشَ اللُّهام لجعفر[٤]

وقول محمـد بن محامس الأستجي في مديحه الحكم المستنصر بأنه الخليفة المصطفى :

الله للحكم الخليفة صانِعُ  فيما اصْطفاهُ لهُ وَعَنْهُ دافِـعُ[٥]

ونلاحـظ الـتماثل الإيقاعي في هذا البيت وقول محمد بن شخيص في مطلع إحدى مدائحه لهشام بن الحكم المستنصر :

أرَى مَشْرقَ الدنيا ينافسُ مَغْربا  على غُرَّةٍ لَمْ تُبقِ للظلم غَيْهبا[٦]

وقـد يعـانق التصريع تجانساً بين مصراعي البيت الشعري ، لتكثيف النغم وتـنويع مصـادر الإيقـاع ، كمافـي قول محمد بن شخيص مادحاً الخليفة الحكم المستنصر :

طلعتَ إلى الدّنيا بسعد مقابل  فانساكَ الإقبالُ عاماً بقابل[٧]

---

[١] ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٢١ .

[٢] ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٩٨ .

(٣) يوسف بن هارون الرمادي المكنى بأبي حنيش ( ت ٤٠٣ هـ ) من أبرز الشعراء في الفترة الأموية والعامرية ( انظر المقتبس ص٥٦).

[٤] ابن حيان – المقتبس ، ص ٥٦ .

[٥] ابن حيان – المقتبس ، ص ٦٢.

[٦] ابن حيان – المقتبس ، ص ٢٣١ .

[٧] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٢١ .

ومـــثاله قول ابن مجاهد الأستجي في تهنئة الخليفة الحكم المستنصر بالظفر بحسن بن قنون :

لما رأيت السعَـــد قـــدْ توالى وَعـــزَّ دينُ الله قـــد تَعَالى[١]

وسنتطرق لأمثلة أخرى في باب الجناس .

## الموسيقى الداخلية :

إذا كـــان الـــوزن والقافـــية هما أساس الموسيقى الخارجية ، فإن وراء هذه الموســـيقى الظاهرة موسيقى داخلية ، تتبع من اختيار الشاعر لكلماته وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات والكلمات ، ولذلك استعان الشعراء بالجناس والطباق لتقوية الجرس وإيجاد الانسجام بين المعاني والألفاظ .

### أ- الجناس :

ويقـــوم الجـــناس علـــى " أســـاس التشـــابه بيـــن لفظيـــن فـــي الإيقاع مع اخـــتلافهما فـــي المدلـــول ، فـــإن اتفـــق اللفظـــان فـــي نوع الأصوات وعددها وترتيـــبهـــا ، وهيئـــتهـــا الحاصـــلة مـــن الحـــركات والسكنات ، كان التجانس تامـــا ، والإيقـــاع مـــتطابقا ، وإن اخـــتلف اللفظان في واحد من الأربعة المتقدمة كان التجانس ناقصا ، والإيقاع مختلفا " [٢].

ومـــن أمثلة الجناس التام ، قول حسانة التميمية في مدح الأمير عبد الرحمن الأوسط :

ليجبر صدعي إنّـــه خير جابـــر ويمنعني من ذي الظلامة جابر[٣]

فاللفظـــة الأولـــى مشتقة من الفعل ( جبر ) أي أصلح الصدع ، والثانية تدل على اسم شخص .

ومنه قول مؤمن بن سعيد في مدح الأمير محمد :

---

[١] ابن حيان - المقتبس ، ص ١٦٦ .

[٢] منير سلطان - البديع تاصيل وتجديد ، ص ٧٦ .

[٣] المقري - نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٤٣٨.

أشار إليها النّاسُ بالفضل إذ بَـدا  عزيزاً وأبدى للعزيز التّواضُعا[١]

حيث جانس بين عزيز وعزيز .

والجـناس الناقص هو " مختلف في مسافة ايقاعية نتيجة لاختلاف نوع الأصوات بين المتجانسين " [٢] فمن الجناس الناقص قول ابن مجاهد الاستجي :

سحائباً تمطرهم وبالاً  صواعقا وسميت نبالا[٣]

حيث جانس بين : وبالاً ونبالا .

ومن الجناس الناقص أيضا قول ابن عبد ربه مادحا الخليفة الناصر وجيشه :

فدا سَمها وسامها بالخسفِ  والهثكِ والسّقكِ لها والنّسفِ[٤]

حيث جانس بين : الخسف والنسف .

ونلاحظ أن التكرار في حرف السين يلعب دوراً في الإيقاع الصوتي .

وهناك نوع آخر من الجناس ورد في قصائد المدح الأموية وهو الجناس المذيل "الذي زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في آخره فصار له كالذيل ، وقد تكون الزيادة بحرفين ، ويخصه بعضهم حينئذٍ باسم المزمل " [٥] ومنه قول ابن عبد ربه :

وجيش كظهر اليّم تنفحه الصبا  يعُبُّ عُبوبا من قنا وقنابلِ[٦]

حيث جانس بين قنا وقنابل .

وقـــد أدرك البلاغيون القدماء صلة الإيقاع الذي يحدثه التجنيس بالمعنى الذي يعبر عـنه ، فقال الجرجاني : " وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولا ، ولا سجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بدلا ، ولا تجـد عـنه حـولا ، ومـن هـنا كـان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه

---

(١) ابن خيان - المقتبس ، ص ١٦٦ .

(٢) نهير سلطان - البديع تأصيل وتجديد ، ص ٧٦ .

(٣) ابن خيان - المقتبس ، ص ١٧٦ .

(٤) ابن عبد ربه - الديوان ، ص ٢١٦ .

(٥) المدني - أنوار الربيع في أنواع البديع ، ج١ ، ص ١٣٨، ١٣٤ .

(٦) ابن عبد ربه - الديوان ، ص ١٣٤ .

بالحسن وأولاه : ما وقع من غير قصد من المتكلم إذا اجتلا به ، وتاهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملاءمته – وإن كان مطلوبا – بهذه المنزلة وفي هذه الصورة "[١]

## ب – الطباق : – التضاد –

يُعد إحدى الوسائل الفنية الخصبة التي يعتمد عليها المبدع في إقامة علاقات جديدة بين مفردات اللغة تعكس تعكس صورة العلاقات القائمة في الكون والطبيعة بين الأشياء ، " كما يتولد من خلال الجمع بين المتناقضات ضرب من المباغتة يفجأ المتلقي ويثري مشـــاعره " [٢] ممـــا يساعد على تقوية الجرس والإيقاع ويساعد على توفير التوازن الموسيقى بين الكلمات .

" وقد ألحّ الأندلسي على التضاد – الطباق – في تشكيل مدائحه ، بوصفه أحد الأنشطة اللاشـــعورية التي يجسد من خلالها واقعة المضطرب الذي يعبر من خلاله عن حركة نفسه الحيرى المتوترة التي تتشد البقاء والنوال من الممدوح " [٣].

ولذلك فقد كثر الطباق في مدائح شعراء بني أمية ، ومن أمثلته قول عباس بن فرناس مادحا الأمير محمد ومصورا قيادته للجيش :

ومُختلفِ الأصواتِ مؤتلفِ الزحفِ  لهـــوم الفـــلا عبـــلِ القنابل ملتف
إذا أومضتْ فيه الصوارم خلتَهـــا  بروقا تراءى في الجهام وتستخفى[٤]

فالشـــاعر يطـــابق بين مختلف ومؤتلف ، وفي البيت الثاني يطابق بين تراءى وتستخفي .

ومن الطباق قول العتبي :

تركتَ وقائعَ في الثغور وقدْ غدتْ  مثلا بكلِّ مُغرّبٍ ومُشرّقِ[٥]

فقد طابق بين " مغرب ومشرق " .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – أسرار البلاغة ، ص ٧ .
(٢) شعر الشيب لرائد أخرى – محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ، ص ١٤٩.
(٣) اشرف لحا – قصيدة المديح في الأندلس ، ص ٢٨٦.
(٤) ابن حيان – المقتبس ، ص٢٩٨.
(٥) ابن عذارى – البيان المغرب ، ج٢ ،ص ١١٣.

وطابق عثمان بن المثنى بين الفقر والغنى والنفع والضر في قوله :

هو الدَّهرُ في تَصريفه الفقرُ والغِنى  كذلِكَ في أحداثِهِ النفع والضرُّ[٢]

---

[٢] ابن حيان – المقتبس، ص ٢٧٤.

# الصورة الشعرية

## رابعاً : الصـورة الشعريـة :

إذا كـان الشـعـر يمـتـاز مـن غـيـره مـن الفـنون بلغته ونسقه الموسـيقى ، فإنّـه أيضـا يتمـيز من سواه بالصورة ، بل إنّ بعض النقاد يعدون الشـعر فـي جوهـرة تعبـيرا بالصـور ، فهـذا الجـاحظ يقول : " فإنما الشعر صناعة وضربٌ من النسيج ، وجنس من التصوير " [١] .

فالصـورة الشـعرية إذن هـي لـب الشـعر ، بل هي الشعر ذاته وليست شـيئاً يضـاف لتزيـين المعـنى ، بـل هي جزء أصيل من المعنى ، وأي تغيير يغير بها يبدل في المعنى .[٢]

ومـن ثـم فـإن قـيمة الصورة الشعرية التي أفرزها الخيال لا ترجع إلى محاكـاة الأشـياء والإحساسـات كمـا فـي الطبيعة " بل ترجع إلى قدرتها على طـرح الأشـياء فـي ضـوء جديـد ، ومـن خلال علاقات جديدة ، مما يضيف وعياً وخبرة جديدة " [٣].

" وقـد تأثـرت الصـورة فـي قصـيدة المديـح العربـي بسياق التجربة المدحـية ذاتهـا ، وكشـفت عـن رغـبة الشـاعر الدائمة في خلع الثوب المثالي دائمـاً الأسـطوري أحـياناً علـى ممدوحه ؛ اعتماداً على مبدأ التشخيص أو خلق الشخصـيات التـي يمـزج الـنموذج مع الفرد من أجل إظهار النموذج في الفرد أو الفرد في النموذج " [٤].

هـي تعطـي صـورة حقيقـية وصادقة لممدوح بمقدار ما تقوم من حيث نجاحهـا فـي أن تجعـل المـثال عظـيما وكاملاً ، الأمر الذي دفع الشعراء إلى التّـباري فـي تحسـين صـورهم ، وعرضها في أبهى ثوب ، ولا شك أن فكرة الصـورة والإلحـاح فـي طلـبها ، واسـتجماع عناصرها ، هي فكرة قديمة في

---

[١] الجاحظ – الحيوان ، ج٣ .

[٢] سيسل دي لويس – الصورة الشعري ، ص ٢٣ .

[٣] جابر عصفور – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص ٣٤١ .

[٤] أشرف نقلاً عن ، اوستن وارين – ورينيه ويليك ، نظرية الأدب ، ص ٣٦ .

نقدنا العربي القديم ، نشأت نتيجة اللفظ والمعنى عند بعض النقاد ، أو الفصل بين شكل العمل الأدبي ومحتواه ، مما ترتب عليه النظر إلى الصورة على إنها لون من ألوان الصياغة الشكلية الطارئة على معنى سابق عليها . [١]

ويمكن ان نقسم الصورة إلى ،الصورة البيانية : وتشمل التشبيه والاستعارة والكناية .

**الصورة الفنية والهيكلية** : وهي التي تقوم على المشهد والقص والحركة وتعنى بتسلسل الأبيات وتناميها حتى النهاية .

**أ- الصورة البيانية** : وتعتمد الصورة البيانية في شعر المديح الأموي في الأندلس على عنصر التشبيه اعتماداً كبيراً ، وقد أكثر الشعراء منه ، فنراهم يستخدمون التشبيهات المفردة والمركبة ، فيشبهون المعقول بالمحسوس ، والمحسوس بالمعقول ، ومن الأمثلة على التشبيه ما نلمحه في قول مؤمن بن سعيد :

تَتَلألأ إذا سُئِلتَ نَوالاً  كَتَلألي مُهندٍ مصقول [٢]

فقد شبه جود ممدوحه " الأمير محمد " بتلألئ المهند المصقول ، وهو تشبيه معقول بمحسوس ، ويقول العتبي في مدح الأمير محمد مشبهاً المشركين المنهزمين بصغار النحل المحرق ، والرماد الأزرق ، يقول :

وأدَاخَ أرضَ المُشْركينَ بوَقْعَةٍ  تَرَكَتْهُم مِثْلَ الأشاء المُحْرق

جَابِتْ عَلَيهِمْ حَرْبُهُ بِصَواعِقٍ  تَرَكَتْهُمْ مِثْلَ الرّمادِ الأزْرق[٣]

---

[١] انظر للاستزادة جابر عصفور – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص ٣٤٨،٣٤٧.

[٢] الكتاني – التشبيهات ، ص ٥٦ .

[٣] ابن عذارى – البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١١٣ .

ويشبه مؤمن بن سعيد خضوع الأعداء للأمير محمد الذي قهرهم بحالة عابد النار التي تحرقه ، مشيراً بذلك إلى ضلالهم وخروجهم عن الطريق السّوي ، يقول :

دَانُو لهُ وهوَ واردٌ بهمُ  حِياضَ حَتفٍ يُعافُ مَوْردهُا

كعابدِ النّار وهيَ تُحرقُهُ  بُعْداً لِمَثْواهُ حينَ يَعْبُدُها[1]

وقد أكثر الشعراء من التشبيهات ورسم الصور المتلاحقة لموصوفاتهم ، وكان مدح الممدوح ووصف معاركة وأدواته من أهم المجالات التي يظهر فيها ميلهم إلى التصوير ، وتصل الصنعة أوجها عند أحمد بن عبد الملك [2]الذي تتوالى عنده أداة التشبيه ( كأن ) في نموذج يتكون من اثني عشر بيتاً على نسق واحد ، يصف فيها الأعلام ومن خلالها يمدح ممدوحه وهو الخليفة الناصر لدين الله وقد اعتمد في ذلك التشبيه المقلوب ، فهو يشبه بياض البيض منها بنور وجه الممدوح بل هو مصدر بياضها ، أو برأيه الذي ينير الظلمات فيقول منها :

*كأنّ ابيضَاض البيض منْ نُور وَجْههِ  وَذا رَأيُهُ فينا إذا الخطبُ أظلَما

ويشبه احمرار الحمر منها بغضب الممدوح حين يأخذ سيفه مصمماً على الغزو فتعلو وجهه حمرة :

* كأنّ احمِرارَ الحُمر هزةُ  إذا هزّه في المشرفيةِ صَمْصَمَا

ويشبه اصفرار الصفر منها بلون الخائف من سخطه وهو يسعى إلى عفوه ، بل تستمد اصفرارها عن اصفراره :

*كأنّ اصفرارَ الصُّفر من لون مَن غَدا  إلى عَفوهِ من سَخطِهِ مُتَظلّما* [3]

---

[1] ابن حيان – المقتبس ، ص ٣٣٥.

[2] أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ، استوزره عبد الرحمن الناصر وكان شاعراً كاتباً مقدماً . ( انظر عنه الحميدي ، جذوة المقتبس ص ١٢٣).

[3] الكتاني – التشبيهات ، ص ٢١٢.

فـــي حيـــن يشـــبه اخضـــرار الخضـــر منها بموقع جود الممدوح وكرمه في حالة الشدة :

كأنَّ اخضرار الخُضْر مَوقع جودِهِ  إذا ما اشتكى بضطنُ الثرى علّة الظمأ[١]

ونلاحـــظ علـــى هـــذه الأبـــيات أن الشاعر يقدم لنا تحليلاً نفسياً عن الألوان ولذلك يصبح لها دور سياسي وعسكري .

أمـــا عبـــيد الله بـــن يحـــيى بن إدريس فيشبه ممدوحه الخليفة الناصر لدين الله بالليث في شجاعته يقول :

فاشرفتَ كالليثِ الهزَبر عليهمُ  يُطيفُ به أسْدَ الغضَى والأساودُ[٢]

واســـتعان شـــعراء مديـــح بنـــي أمـــية بالاستعارة إلا أنهم لم يكثروا منها ومن ذلك قول مؤمن بن سعيد في رثاء عبد الرحمن بن محمد ومديح ولده :

يا موتُ ويحكَ ما تبقي وما تَذَرُ  قصار ناسكَ وردّ مَالهُ صَدَرُ

للموتِ عَدْوةُ ماضي البَطْش مُقتدرٍ  لا ملجأ عاصمٌ منهُ ولا وَزَرُ

جـــادَ الغَمـــامُ ثرى وَارى شمائلهُ  وخيَمهُ وتعالى فوقِـــهُ الزّهرُ[٣]

فلقـــد تعـــددت الاســـتعارات فـــي هذه الأبيات منها " يا موت ويحك " و " الموت ماضي البطش " و " جاد الغمام " .

ومـــن الاســـتعـــارة قـــول إســـماعيل بـــن بدر في مديحه للخليفة الناصر لدين الله :

فأنتَ البَحْرُ عَذْبا مُستقِلا  علَيْنا بالنُّضارِ وباللُّجَيْنِ[٤]

فالشـــاعر جعـــل ممدوحـــه بحـــراً علـــى سبيل الاستعارة ليدلل على جوده وكرمه.

---

(١) الكتاني – التشبيهات ، ص ٢١٢.

(٢) ابن حيان – المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٣٢.

(٣) ابن حيان – المقتبس ، ص ٢١٥،٢١٤ .

(٤) ابن حيان – المقتبس ، ج٥ ، ص ٤٣٢.

وإلى جانب التشبيه والاستعارة ، نجد أن للكتابة نصيبا في شعر مديح بني أمية في الأندلس ومثاله قول عبدالله بن الشمر في مديحه للأمير عبد الرحمن بن الحكم :

ليت شعري أمن حديد خلِقنا  أمْ خُلقِنا من صخرة صماء[١]

فالبيت كناية عن الصلابة .

ومثل ذلك أيضا في قول بن عبد الملك الناصر لما قدم أخاه المستنصر من إحدى غزواته :

قدِمْت بَحمد الله أسْعَدَ مَقدم  وَضِنْك أضحى لليدين ولِلفم[٢]

ففي قوله " لليدين وللفم " كناية عن كونه قد خَرّ صريعا .

## ب – الصورة الفنية والهيكلية :

وهي التي تقوم على المشهد والقص والحركة وملاحظة تسلل المشاهد وتناميها ، " ويظهر دور التجسيد والتشخيص واضحا في هذه الصورة ، فيما يخلعه الشاعر على عيناتها من حركة وحياة وصفات ، تمثل الطبيعة ، وتجعلها ماثلة أمام حس المتلقي كأنه يراها ، فتجسد الأشياء المعنوية ، وتشخص المعاني المجردة ، وتحيل كليهما إلى عناصر حيه في التجربة ، وتؤثر في نفس المتلقي ، وتثير انفعاله الملائم بقصد المبالغة في توكيد الصفة والخبر" [٣] ، ومما يدل على ذلك هذه الصورة التي ساقها عباس بن فرناس في غزوة وادي سليط الواقعة في سنة (٢٤٤هـ ) والتي قادها الأمير محمد بن عبد الرحمن للقضاء على المشركين ، مبتدئا

---

[١] الكتاني – التشبيهات ، ص ١٦٥.

[٢] المقري – نفح الطيب ، ج٣ ، ص ٥٨٤.

[٣] اشرف نجا – قصيدة المديح في الأندلس ، ص ٢٣٠.

بوصف جيش المسلمين الذي تتعالى منه الأصوات المختلفة ، غير أنه يسير بانتظام ، ملئهما الأرض بخيوله الضخمة الكثيرة العدد ، أما سيوف مقاتلي هذا الجيش فإن لمعانها يوحي للناظر بالبروق الخالية من المطر ، ثم ينتقل إلى رايات الجيش فيشبهها بسفن البحر الكبيرة العاجزة عن النزول إلى البحر نظراً لسعتها وكبرها ، فنجده يقول :

ومُختلِفِ الأصواتِ مُؤتلِفِ الزَّحْفِ ... لهومُ الفلا عبلُ القنابلِ مُلتفُّ

إذا أومَضتْ فيه الصَّوارمُ خِلتَها ... بُروقا تَراءى في الجِهام وتَستخفي[1]

كأنّ دُريَ الأعلام في سَيلانِهِ ... قَراقيرُ يَمٍّ قد عَجزْنَ عن القَذْفِ

وبعد هذا الوصف لحركة الجيش وأركانه الرئيسية : الجند والخيل والسلاح والرايات ينتقل الشاعر إلى مدح القائد الأمير محمد وأنه عاجز عن إيفائه حق قدره من الوصف وحسبه أنه سمى خاتم الأنبياء[2] بقوله :

وإنْ طمحتْ أركانُه كان قُطبُهُ ... حِجى ملكٍ نَجْدِ شمائلُهُ عَفُّ

سَمِيّ ختام الأنبياء مُحمّدِ ... إذا وُصِفَ الأملاكُ جلّ عن الوصف[3]

ثم يلجأ إلى تحديد زمان ومكان المعركة " يوم الثلاثاء " حيث موعد تلاقي الجيشين ، بعد أن أطاح الصباح بكل ما كان مستورا ، فلقى جيش العدو ما لقى من جيش المسلمين ، وقد جعل جبلى وادي سليط يبكيان ويعولان عليهم لما حل بهم ، معتبرا انتصار المسلمين صبحا منيرا بدد ظلمة الكفر والطغيان ، يقول :

فمنْ أجلِه يومَ الثّلاثاءِ غدوةً ... وقدْ نقضَ الإصباحُ جُلَّ عُرى السَّجفِ

بكى جبلا وادي سليطٍ فأعْولا ... على النَّفرِ العُبْدانِ والعُصبةِ الغُلفِ

دعاهُمْ صريخُ الحيْنِ فاجْتمعوا لهُ ... كما اجْتَمعَ الجُعْلانُ للبعْرِ القُفِّ[4]

---

(١) ابن خيان - المقتبس ، ص ٢٩٨.

(٢) علي الغريوني - أدب السياسة والحرب ، ص ٢٢٠.

(٣) ابن حيان - المقتبس ، ص ٢٩٩.

(٤) ابن حيان - المقتبس ، ص ٢٩٩.

ونلاحظ أنّ هذه القصيدة من حيث هيكلتها ، قد تنامت وتسارعت فيها الأحداث والصور والمشاهد ، ثم توصلنا إلى النهاية بدون تكلف أو تعقيد .

ونخلص إلى القول أن الشاعر الأندلسي خلال هذه المرحلة لم يكن مبدعاً كل الإبداع في تصويره الفني والبياني ، ولا مقلداً كل التقليد ، وقد لجأ إلى التشبيه لأنه مادة غزيرة تعينه على الكشف عن بعض جوانب الحياة بما فيها من تفاوت أو تناقض .

كذلك لجأ إلى الاستعارة لأنها عنصر جوهري لتشخيص وتجسيد مظاهر المدح فكان إبداعه عطاء تجربته في الحياة وعصارة أفكاره ورؤاه الفنية .

وبهذا يكون الشعر الأندلسي قد أدىّ مهمته الفنية في خدمة المجتمع الأندلسي إلى جانب خدمة التراث العربي الذي نبت منه .

## استلهام الموروث الشعري :

" يعتبر استلهام الموروث الشعري قديمه وحديثه ، ظاهرة واضحة في شعر الأندلسيين ، غير أنّ ذلك لا يعني الاحتذاء والتقليد بمعناهما المعروف دائما بل يدل أحياناً على الرغبة في الاستفادة من هذا الموروث ، الذي يمثل عنصراً أساسيا في تكوينهم ، ويكون أحياناً أخرى تأثراً لا شعورياً بمحفوظهم الغزير ، وما ترسب في نفوسهم من رواسب الموروث الشعري" [1].

وقد تأثر شعراء الأندلس بالمشارقة ، " فبواكير الشعر الأندلسي مشرقية في شكلها ومضمونها ، وكانت هذه الظاهرة سمة من أهم سمات الشعر في فترة الولاة وعهد الإمارة ، وتعليل ذلك أن معظم الشعراء الذي عرفتهم الأندلس حينذاك كانوا مشارقة في تكوينهم ونشأتهم ، فكثير منهم

---

[1] علي الغزيوي – أدب السياسة والحرب ، ص ٣٥٠.

هاجر إلى الأندلس في سن عالية ، بعد ان تكونّ وجدانهم وذوقهم واهتماماتهم"[١].

ولـــم يقتـــصر التأثير المشرقي على المراحل الأولى ، بل اشتمل العهود التي تلت ذلك وتجاوزته إلى فترات لاحقة ، ومن أمثلة التأثير المشرقي في الشعر الأندلسي قـــول الشـــاعر العكي في مديحه للأمير عبدالله ابن محمد واصفا جيشه يتمثل صورة بشـــار بن برد في وصفه الجيش والأسلحة الكثيرة التي تلمع خلال النقع ، وكأن الدنيا ليلٌ سماؤه النقع وكواكبه الأسلحة اللامعة :

كأنَّ سَماءَ النَّقع تُبدي كَواكِبا  بأكنافِها مِن لَمح ورُمْح ومُنصلِ[٢]

وقول بشار بن برد :

كأنَّ مثارَ النَّقع فوقَ رُؤوسِنا  وأسْيافنا ليلٌ تهـــاوى كَواكِبُـــه

وقـــول ابـــن عـــبد ربه عندما تحدث عن إشعال ابن حفصون الحرب وما يجنبه من شرور:

ما زالَ يلقحُ كلّ حَربٍ حائلٍ  فالآن أنتجها بشَرّ نتاج[٣]

انطلق من صورة بدوية ، ينظر في ذلك إلى زهير بن أبي سلمى في تصويره للحرب في معلقته :

فتعرككم عرك الدحى بثقاله  وتلقح كشـــافا ثم تنـــتج فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم  كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم[٤]

---

(١) الطاهر مكي – الشعر الأندلسي ، نشأته وخصائصه ، ص ١٨٨ .
(٢) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٠٤ .
(٣) ابن عبد ربه – الديوان، ص ٤٩.
(٤) الأعلم الشنتمري – شعر زهير ، ص ١٩ .

وابن عبد ربه يعبر عن إعجابه بممدوحه فهو بطل يتحدى الموت ، ويقتحم الميدان دون مراعاة للأهوال ، بل هو يتحكم في مصير النفوس ، كما تتحكم فيها صروف المنايا ، ومن ذلك قوله :

نفسي فداؤك والأبطال واقفة والموت يقسم في أرواحها النقما

شاركت صرف المنايا في نفوسهم حتى تحكمت فيها مثلما احتكما[١]

وشبيه هذا المعنى ما نجده عند المتنبي في وصف بطولة سيف الدولة في موقفة بين المخاطر في معركة الحدث الحمراء سنة (٣٤٣هـ) ، ومع فضل المتنبي في تفصيل الصورة فإن ابن عبد ربه أسبق :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاحٌ وثغرُكَ باسم[٢]

ويظهر تأثر محمد بن شخيص بالموروث الشعري واضحاً في كثير من نماذجه ، ويتجلى ذلك في لجوئه إلى التضمين كما في قوله متحدثا عن انتصار جيش الخليفة الحكم المستنصر على ابن قنون ، وتخريب قلاعه :

فلوْ حله غيلان نادى طلولهُ " هل الأزمن اللائي مضين رواجعُ "[٣]

وغيلان هو ذو الرمة غيلان بن عقبة المري .

وهو من عينية لذي الرمّة ؛ والشطر من بيت له صدره :

أمنزلتي مي سلام عليكما " هل الأزمن اللائي مضين رواجعُ "[٤]

ويظهر تأثر ابن شخيص أيضاً في اتكائه على بعض معاني شعراء المشرق القدماء ، ومن ذلك تصويره لفرار ابن قنون من الجيش الإسلامي :

فلو طار فوق الأرض أو غار تحتها لما خال أنّ المنتأى عنك واسعُ[٥]

---

(١) ابن عبد ربه – الديوان، ص ١٥٤.

(٢) العكبري – شرح ديوان المتنبي ،ج٣ ، ص ٣٨٧،٣٨٦ .

(٣) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٣٧.

(٤) ذو الرمة – الديوان ، ص ٤٢٢ .

(٥) ابن حيان – المقتبس ، ص ١٣٧.

فهو ينظر في ذلك إلى قول النابغة في اعتذاره للنعمان بن المنذر ووصف خوفه منه :

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أنّ المنتأى عنك واسعُ[١]

كما يظهر تأثره ببعض المشارفة من المحدثين ، ففي بائيته التي مطلعها :

أتمّ شعبانُ ما أبْدى به رجب من قبل ما كانتْ الآمال تُرْتقبُ[٢]

نجده يستعير الوزن والروي من بائية أبي تمام في فتح عمورية ، وينظر إلى كثير من معانيها وصورها ، يقول ابن شخيص :

لمّا رأى الحائنُ المخذول ما كشفت لعينه من دواعي حينه العقبُ

وأنه لو رماهُ الجهدُ في هربٍ بالصين لم ينْجُه من سيفه الهربُ

رَجَا الفرارَ فأنباهُ الرجاءُ له انّ القضاء له من حَوْله رقبُ[٣]

ينظر إلى قول أبي تمام في وصف فرار تيوفلس قائد الروم واضطرابه :

لما رأى الحربَ رأي العين توفلس والحرب مشتقة المعنى من الحَرَبِ

ولىّ وقدْ ألجم الخطى مَنطِقهُ بسكتةٍ خلفها الأحشاء في الصحب

إنْ يَعُدْ من حرِّها عَدْو الظليم فقد أوسعت جاحمها عن كثرة الحطبِ[٤]

ومن هنا نلاحظ أنّ الأندلسيين كانوا ينظرون إلى المشارقة ،متأثرين بالقدامى ومحدثين وإذا كان المستشرق غرسية غومس يرى أن المحدثين لم يكن لهم عند شعراء الأندلس أثر كبير ، فيما خلا بدوات نلمحها بين

---

[١] النابغة الذبياني – الديوان ، ص ٣٨ .

[٢] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٥٨ .

[٣] ابن حيان – المقتبس ، ص ١٥٨، ١٦٢.

[٤] أبو تمام – الديوان ، شرح الخطيب التبريزي ، ج١ ، ص ٦٤.

الحيـن والحيـن [٥]، ولكـن الـنماذج التـي استعرضـناها ، تبرز نوعاً من هذا الأثـر المـزدوج ، وهـذا مـا يؤكده الدكتور إحسان عباس بقـوله : " إن الشعر الأندلسـي تأخـر ظهـوره عـن الشـعر المشـرقي عشرات السنين ، فلما ظهر كانـت الـنماذج المشـرقية أمامـه هي " الشعر المحدث " وأن الأندلسيين أحسوا مـنذ الـبداية بـأن المشـرق قـد أعطـاهم مذهبين ، أو طريقتين : طريقة تلتزم أصـولاً معيـنة تسـمى " الشـعر المحدث " وطريقة تختلف عن الأولى في كثير مـن مظاهـر الصـنعة خاصـة ، وتسمى " طريقة العرب الأوائل " وقد عاشت الطريقتان معاً في الأندلس " [١].

---

[٥] انظر رأيه في الشعر الأندلسي ، ط٢ ، ص ٢٤.

[١] احسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة ، ص ١٢٤.

# الخاتمة

حاول هذا البحث أن يدرس قصيدة مديح بني أمية دراسة موضوعية ، فنية من خلال منهج تحليلي متكامل ، وفيما يلي أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من خلال فصول هذه الدراسة :

١. تصور قصيدة مديح بني أمية جوانب الحياة السياسية وقيمها في المجتمع الأندلسي ، وتجسد حلقة من حلقات الصراع السياسي الأندلسي على الصعيد الداخلي متمثلاً في حركات التمرد والحروب الداخلية . وعلى الصعيد الخارجي متمثلاً في الصراع ضد نصارى الشمال .

٢. تشتمل قصيدة المديح على بعض الأفكار الشيعية التي رددها الشعراء في مدائحهم لبني أمية مثل فكرة الإمامة والاصطفاء والشفاعة .

٣. تشابه قصيدة مديح بني أمية الأندلسية مع قصيدة المديح المشرقية من حيث المحافظة على البناء القديم ، والتزام أجزائه المختلفة وتباينهما في مضمون هذا البناء وتفصيلات إطاره نظراً لاختلاف البيئة وتميز طريقة التعبير لدى كل منهما .

٤. تتنوع مقدمات المدائح الأندلسية بين غزلية وطبيعية ومقدمة الشكوى والتعزية مع تمثيل بعض هذه المقدمات ملامح البيئة الأندلسية الجديدة ، على أن بعض المدائح جاءت دون استهلال أو تقديم

٥. تنوع طرائق الشعراء في الربط والتخلص إلى المدح .

٦. اعتماد الصورة الفنية في القصيدة المدحية على التشبيه والاستعارة .

٧. توصل الشعراء في تشكيل لغة مدائحهم بالقرآن الكريم وبمفردات البيئة والتراث والحرب .

وبعد ، فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستي ، وأرجو أن أكون قد وفقت ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

# Concert

This research has tried to study a poem in laudation for Bany Omayyah in objectivity and a technique study through a perfect analysis methodology way.

The following is the most important results which we can obtain from the chapters of this study :

1. The poem of laudation for Bany Omayyah characterized the political life and it's values among the Andalus Society , and show a cycle from the Andalusi political conflect in inner situation examplified in inner wars and in out situation examplified in the conflect against the northern Christians .
2. The laudation poem also contains some Ideas from " shi'a " party which the poets mention in their laudation to Bany Omayyah like " Al- Emamah ' Al-Estefa and Al- shafa's .
3. The similarities between the laudation poem to Bamy Omayyah with the Eastern laudation from the preservation to old building and the commitming with its different parts and the distinguish in the value of this building as well as its frame details since the differences of the environment and the specification to each of them .
4. The Andalus; introductions have some rariety like normal ,complaint , condolence and erotic poetry with some illustration to these introduction for the new Andalus;

environment within some of them came without presentation .

5. The variousness of the poets in laudation.
6. Depending the art picture in laudation poems in imitation and metaphor.
7. The poets used the Holy Quran , environmental expressions. And heritage in forming the laudation poems .

This was the most important result which I have reached during my study , I hope that I had successfully done.

# المصادر والمراجع :

## اولاً : المصادر العربية :


١. ابـن الأبـــار ، الحلــة السيــراء ، الطبعة الأولى ، تحقيق حسين مؤنس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

٢. ابن الأثيـر ، ضيــاء الــدين بن الأثير – المثــل الســائــر في أدب الكاتب والشـــاعر ، الطــبعة الأولى ، تحقيــق أحمــد الحوفي وبدوى طبانه ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٣. أبــو تمــام ، ديــوان أبو تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، الطبعة الرابعة ، تحقيق محمد عبــده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

٤. الثعالبـــي ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري( ت ٤٢٩هـــ ) . يتــيمة الدهــر ( ١-٤) ،تحقــيق الشيخ محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، ١٩٥٦م.

٥. خـــازم القرطاجني ، أبو الحسن–منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الخبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦م.

٦. الحميدي، أبو عبدالله محمد بن فتوح الحميدي ( ت ٤٨٨هـــ) – جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

٧. الحمــيري ، أبــو عــبدالله محمد بن عبد المنعم – الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٨. الحميري ، أبو الوليد إسماعيل بن عامر (ت ٤٤٠هـ) تقريبا ) - البديع في وصف الربيع ، نشره هنري بيرس ، المطبعة الاقتصادية بالرباط ، ١٩٤٠م.

٩. ابن حيان القرطبي - المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، نشر دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ م .

١٠. ابن حيان القرطبي - المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، القسم الثالث، ويشمل تاريخ دولة الأمير عبدالله الأموي بقرطبة عني بنشره ان النسخة المخطوطة بالخزانة البدليانه باكسفورد ، ملشور . م . انطوانيه ، بولس كنتر الكتبيي بباريس ١٩٣٧م .

١١. ابن حيان القرطبي - المنقبس ، اعتنى بنشره / شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع كورينطي و م . صبح وغيرهما ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، كلية الأداب بالرباط ، مدريد ، ١٩٧٩م .

١٢. ابن حيان القرطبي -المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق وتعليق محمود على مكي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٧١م .

١٣. الخشني ، أبو عبدالله الخشني - قضاة قرطبة ، نشر/ عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

١٤. الخطيب القزويني - شرح التلخيص في علوم البلاغة تحقيق محمد هاشم دويدري ، الطبعة الأولى ، دمشق ، حلبوني ، ١٩٧٠ م .

١٥. ابن الخطيب ، لسان الدين الخطيب - الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، المجلد الأول ، ط٢ ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، طبع الشركة المصرية العامة للطباعة والنشر ١٩٧٣م.

١٦. ابن دراج القسطلي – ديوان ابن دراج القسطلي ، الطبعة الأولى ، تحقيق محمود علي مكي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٩٦١م.

١٧. ابن رشيق القيرواني – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، الطبعة الرابعة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م .

١٨. الزبيدي ، أبو بكر الأندلسي – طبقات النحويين واللغويين ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٩. ابن سعيد – المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٢٠. ابن شهيد، أحمد بن عبد الملك الأندلسي – ديوان ابن شهيد الأندلسي ، جمع شارل بيلا ، بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٦٣م.

٢١. الضبي ، أحمد بن يحيى ابن عميرة (ت ٥٩٩هـ) – بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق مجريط ، ١٨٨٤م .

٢٢. ابن طباطبا العلوي – عيار الشعر ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٩٨٥م.

٢٣. ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي – العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٨م.

٢٤. ابن عبد ربه – ديوان ابن عبد ربه ، جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريه ، ١٩٨٧م.

٢٥. عبد القاهر الجرجاني – أسرار البلاغة في علم البيان ، الطبعة الثالثة ، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩م .

٢٦. ابـن عـذارى ، المـراكشـي - البيـان المغرب في أخبـار الأنـدلس والمغـرب ، تحقيق ليفي برفنسال دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م .

٢٧. العلـوي ، يحيى بن حمزة - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ، ١٩١٤ م .

٢٨. ابـن الفرضـي ، أبو الوليدعبدالله بن محمد الأزدي ( ت ٤٠٣هـ) - تاريخ علمـاء الأندلـس نشر وتصحيح عزت العطار الحسيني ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، ١٩٥٤م .

٢٩. ابـن قتيبه، ( ت ١٧٦ هـ ) - الشعـر والشعراء ، الطبعة الثانية ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف القاهرة ، الجزء الأول ، ١٩٦٦م .

٣٠. الكتانـي ، أبـو عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٦م .

٣١. مجهول - أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعـة بمـا بينهم ، تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م .

٣٢. المقـري التلمساني ، أحمد بن محمد المقري التلمساني - نفـح الطيب من غـصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م.

٣٣. يحـيى بن الحكـم الغـزال - ديـوان يحيى بن الحكم الغزال ، جمعه وحققه يحيى البنداق ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

## ثانياً : المراجع العربية :


١- احســـان عــباس – تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩م .

٢- أحمــد أمين – ضحى الإسلام ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤١ م.

٣- أحمــد مختار العبادي – في تاريخ المغرب والأندلس ، طبع مكتبة الرسالة ، عمان ، الأردن ، ١٩٨١م.

٤- أحمــد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٧ م.

٥- أشــرف نجــا – قصيدة المديح في الأندلس ، عصر الطوائف ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧ م.

٦- جابـــر عصــفــور – الصـــورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

٧- حسين عطوان – مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٤ م .

٨- حســيــن نصار – القافية في العــروض والأدب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

٩- ســعــد اســماعيل شــلبي – البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

١٠- شوقي ضيف – في النقد الأدبي ، طبع دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤م

١١- شوقي ضيف – الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، طبع دار المعارف ، مصر ١٩٧٨ م .

١٢- عبد العزيز سالم – تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة ،ط دار المعارف ، لبنان ، ١٩٦٢م .

١٣- عـبدالعزيز فيلابي – العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٠م .

١٤- الطـاهر مكي – دراسات عن ابن حزم وطوق الحمامة ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م .

١٥- عبد العزيز عتيق – علم العروض والقافية ، النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ( د . ت ) .

١٦- عـز الدين اسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي ، الطبعة الثالثة دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

١٧- علـي البطل – الصورة الشعرية حتى آخر القرن الثاني الهجري ، ط١ ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م.

١٨- علي الغزيوي – أدب السياسة والحرب ، دار العروبة القاهرة ، ١٩٦٠ م.

١٩- فـيـروز الموسـى – قصـيدة المديح الأندلسية بين التجديد والتقليد ، جامعة حلب، ٢٠٠٠م.

٢٠- محمـد فتوح أحمد – شعر المتنبي قراءة أخرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

٢١- محمد مندور – النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٨٣ م.

٢٢- مصطفى عليان – بناء الشخصية في القصة القرآنية ، دار البشير ، ١٩٩٢م

– تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢م

٢٣- منير سلطان - البديع تاصيل وتجديد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م.

٢٤- وهب رومية - قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي ، منشورات وزارة الأوقاف ، ١٩٨١ م.

## ثالثاً : المراجع الأجنبية المترجمة :

١- أنجـــل بالنثيا – تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٢- أوستين وادين ، ورينيه ويليك – نظرية الأدب ، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حســام الخطيــب ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، مطبعة خالد الطرابيشي ، دمشق سنة ١٩٧٢ م.

٣- جون كوين – بناء لغة الشعر ، ترجمة أحمد درويش ، سلسلة كتابات نقدية ، العــدد الثالــث الهيئة العصرية العامة لقصور الثقافة ، مطابع الأهرام ، القاهرة سنة ١٩٩٠ م.

٤- ريتشــاردز – مــبادئ النقد الأدبي ، ترجمة محمد مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٥- غرســيــة غــومــث – الشــعــر الأنــدلســـي ، بحـــث في تطــوره وخصائصه ، ترجمة حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

## رابعاً : الدوريات العربية :

١- محمــود مكــي – التشيع في الأندلس ،صحيفة المعهد المصري ، العدد الثاني ، مدريد، ١٩٥٤م، ص٨١ .

٢- محمــد غنــيمى هــلال – النقد الأدبي الحديث ، مجلة فصول ، العدد الرابع ، القاهرة ، ١٩٨٦م، ص٤٠ .

## " ملحق ببقية الشعراء "

هـذه قائمـة بأسـماء الشـعراء الذيـن وردت أسماءهم في ثنايا مديح بني أمية ، ولم تورد إلينا أشعارهم ، مرتبة ترتيبا أبجديا :

١- إبراهيم بن يزيد بن قلزم بن إبراهيم بن مزاحم مولى عمر بن عبدالعزيز ، أندلسـي رحـل فسمع سحنون بن سعيد وغيره ، ومات بالأندلس سنة ٢٦٨هـ ورد ذكره في بغية الملتمس ص ( ٢٢٧).

٢- أحمـد بـن إبراهيم الخازن ، ورد ذكره في المقتبس ، تحقيق عبدالرحمن الحجي . ص ٦٠ .

٣- أحمـد بـن سليمان ( ابن البياني ) ، ورد ذكره في المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي . ص ٦٠ .

٤- حـامد بـن محمـد بن سعيد الزجالي : ارتقى إلى وزارة الأمير محمد بن عبدالرحمن وكان أهلا لذلك لبلاغته وحسن معرفته ، توفي سنة ٢٦٨هـ . ورد ذكره في المقتبس تحقيق محمود مكي ص ٣٢.

٥- سعيـد بن الفـرج الرشـاش ( أبو عثمان ) : من أوائل العلماء الحافظين للغـة ، العالميـن بالشـعر ، وحكـى عنـه أنـه كان يحفـظ أربعـة آلاف أرجوزه ، وضرب به المثل في الفصاحة ، فكان يقال : " أفصح من الرشاش " رحـل إلـى المشـرق ، ثم عـاد إلى الأندلس واتصل بالأمير عبد الرحمن الأوسـط ، فقربة ، وأكثر من مدحه ، توفي في سنة ٢٧٢هـ . ورد ذكرهُ في المقتبس ص ١٨٩ . طبقات النحويين واللغويين ص ٢٨٤.

٦- سـليمان بـن وانسـوس : يكـنى أبا أيوب ، كان وزيرا للأمير عبدالله ، وصـارت له حظـوة ، وكان أديبا ، مفتنا ، وشاعر مطبوع حسن البيان ، بليغا حصيفا ورد ذكره في المقتبس ص ١٠٤ ، ١٠٩ وفي البغية ص ١٤٤.

٧- عبدالعزيز بن حسين القروي ، ورد ذكره في المقتبس ، تحقيق عبدالرحمن الحجي . ص ٦٧ .

٨- عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الحاجب : يكنى أبا حفص ، كان أديبا شاعراً توفي سنة ٢٠٩ هـ . ورد ذكره في المقتبس ج٥ ، ص ٧٥.

٩- عبدالله بن حسين بن عاصم : صاحب الشرطة للأمير محمد ، كان أديبا شاعراً سريع البديهة ، كثير النوادر ، رحل عبدالله إلى المشرق وأد عصر معلى الطائي ، توفي بالأندلس في حدود منتصف القرن الثاني . ورد ذكره في بغية الملتمس ص ٣٨٤ .

١٠- عثمان بن المثنى القيسي القرطبي : كان عارفا باللغة مجوّدا بالشعر شجاعا ، مكثر للغزو في الثغور ، رحل إلى المشرق ولقي أبا تمام ، وأخذ عنه شعره وأدخله الأندلس ، توفي سنة ٢٧٣هـ . ورد ذكره في المقتبس ص ٥٠.

١١- فرجون بن أصبغ البلوطي ، ورد ذكره في المقتبس تحقيق الحجي ص ٢٣.

١٢- مالك بن أبي عبدة – مالك بن حسن بن عيسى بن أحمد بن أبي عبده ورد ذكرهُ في الجذوة ص ١٨٣.

١٣- محمد بن سعيد الزجالي : من برابرة تاكرنا ، كان يلقب بالأصمعي لذكائه وحفظه ، استوزره الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط لارتجاله الشعر . لم نعثر على شيء من شعره ورد ذكره في المقتبس ص ٣٢،٣٦ .

١٤- مُقدّم بن معافي الجنَّرْي ، شاعر معروف في أيام عبدالرحمن الناصر . ورد ذكره في المقتبس ، ج٥ ، ص ٤٠.

١٥- هاشم بن عبد العزيز : يكنى أبا خالد ، وهو وزير للأمير محمد ، كان أديبا ذكياً ، متصرفا ، شاعراً ، مطبوعا جوادا ، ممدوحا لطيفا ، توفي في إمارة الأمير عبدالله ، ورد ذكره في جذوة المقتبس ص ٣٦٤.

١٦- يَعلي بن أحمد بن يَعلى القائد ، شاعرٌ كان في عهد الحكم المستنصر صاحب الشرطة الوسطى . ورد ذكره في المقتبس ص ٥٠ ، وجذوة المقتبس ص ٣٦٣.

# Abstract

A poem in Laudation for Bany Omayyah
In AL-Andulas till the falling of Al-Khelafa

By

Rania A. Alsaffereni

Supervisor

Dr. Mustafa A. Elayyan

This study contains the laudation for Bany Omayyah in Al-Andalus till the falling of Al-Khelafa, characterizing the political life and it's values among the society and show a cycle from the Andalusi political conflect in inner and external situation as well as it contains some " Shia's " Ideas which the poets mentioned in their laudation to Bany Omayyah , Through this paper we clear the similarities between Al-Andalusi Laudation and the Easter, laudation from the preservation to old building and the distinguish in the value .

Then we found some kind of variaty in the introduction of Al-Andalus; laudation and the poets ways in connection .

I reached to the point that the poets used the Holy Quran environmental expressions and heritage in forming the laudation poems as well as depending the art picture in their poems in imitation and metaphor .